ثامنًا :

البلاغة والنقد

من بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم –
في حديثه مع الأطفال

دكتور / أشرف عبد القادر محمد عبد القادر
مدرس البلاغة في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

من بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديثه مع الأطفال

أشرف عبد القادر محمد عبد القادر
قسم البلاغة في كلية البنات الإسلامية بأسيوط
Dr.ashbm@gmail.com

ملخص البحث

الحديث النبوي نص أدبي في الذروة من البيان، لا يرتفع فوقه ـ في مجال الأدب الرفيع ـ إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة، وهذا البحث: (من بلاغة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال) محاولة للوقوف على بعض الأسرار البلاغية في تلك الأحاديث، والكشف عن خصائص التراكيب فيها، واستجلاء دقائقها.

يعتمد البحث على المنهج البلاغي التحليلي للأحاديث النبوية الواردة فيه، ويقوم على تحليل المفردات والتراكيب، ومناقشة القضايا البلاغية، مستعينًا بالمؤلفات البلاغية، وشروح الحديث التي عنيت ببيان الجوانب التطبيقية، والكشف عن بعض الأسرار البلاغية في الحديث النبوي.

ويتألف البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تتناول المقدمة أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

ويتناول التمهيد تعريف الطفل، واهتمام الإسلام به قبل ولادته وبعد ولادته.

أما المبحث الأول: فيتناول بلاغة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في مقام التعليم.

وأما المبحث الثاني: فيتناول بلاغة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في مقام المداعبة.

وأما المبحث الثالث: فيعنى بخصائص أسلوب الحديث النبوي الموجه إلى الأطفال.

وأما الخاتمة، ففيها خلاصة البحث، وأهم النتائج، والتوصيات.

الكلمات الافتتاحية : بلاغة – النبي – خصائص – أسلوب – المداعبة – التعليم

Summary

Hadith is a literary text at the peak of the statement, not rising above - in the field of fine literature - only the book of God eloquence and eloquence, and this research: (from the eloquence of the Prophet - peace be upon him - in his talk with children) an attempt to find out some rhetorical secrets in those Conversations, revealing the properties of compositions in them, and elucidating their minutes. The research is based on the rhetorical and analytical method of the hadiths contained in it, and is based on the analysis of vocabulary and structures, and discuss rhetorical issues, using the rhetorical literature, and explanations of the Hadith concerned with the statement of applied aspects, and reveal some rhetorical secrets in the hadith. The research consists of an introduction, a preamble, three topics, and a conclusion. The introduction addresses the importance of the topic, the reason for its selection, and the research methodology and plan. The preamble deals with the definition of the child, and the interest of Islam before the birth and after birth. The first topic: deals with the rhetoric of the Messenger of Allah - peace be upon him - in his conversation with children in the shrine of education. The second topic: deals with the rhetoric of the Messenger of Allah - peace be upon him - in his conversation with children in the foreplay. The third topic deals with the characteristics of the Hadith style addressed to children. Conclusion, the summary of the research, the most important findings, and recommendations.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على قدوة المؤدبين والمعلمين خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن الحديث النبوي نص أدبي في الذروة من البيان، لا يرتفع فوقه ـ في مجال الأدب الرفيع ـ إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة، فهو" الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشَّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام..... فلم يسمع الناس كلامًا قط أعم نفعًا ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم" [(١)]؛ لذلك عني العلماء ـ قديمًا وحديثًا ـ ببلاغة الحديث الشريف في شتى مجالاته، فظهرت مؤلفات عديدة في هذا المجال تذخر بها المكتبة الإسلامية في شتى بقاع الأرض، وعلى كثرة ما كتب العلماء وألفوا، تبقى الأحاديث النبوية نبعًا فياضًا، وموردًا عذبًا، ينهل منه البلغاء والفصحاء على مرِّ العصور والأزمان.

وقد أخذت الطفولة حيزًا واسعًا من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تناولها عدد كبير من الباحثين بالدراسة في بحوثهم، غير أن كثيرًا من البحوث التي تناولت أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الطفل، كان الكلام فيها قاصرًا على الإشادة وإبداء الإعجاب عاريًا ـ في معظمه ـ من التحليل البلاغي الدقيق الذي يبرز البلاغة النبوية في أبهى صورها، ومما عثرت عليه من هذه البحوث: دراسة تقدم بها الباحث: يوسف بن عبد الله بن محمد العليوي، لقسم البلاغة والنقد في جامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراة، عنوانها: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين " دراسة بلاغية تحليلية"، بلغت عدد صفحاتها سبعمائة وتسعة وخمسين صفحة، سرد فيها الباحث ـ في عشر صفحات ـ بعض الأحاديث التي راعى فيها رسول الله ـ

(١) البيان والتبيين . أبي عثمان بحر بن عمرو الجاحظ ٢/ ١٧ . ١٨ تحقيق: عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي بالقاهرة . طبعة سابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

صلى الله عليه وسلم ـ حال الطفل المخاطب، دون أن يتعرض لهذه الأحاديث من الوجهة البلاغية إلا على سبيل الإجمال، ومن هذه الدراسات: خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للطفل المسلم وتطبيقاته التربوية للباحث: محمد بن صالح بن علي العلوي، وهي بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة من جامعة أم القرى، تناول الباحث في هذه الدراسة ـ في جزء يسير منها ـ بعض الأحاديث الواردة في خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للطفل في الجانب الاعتقادي، والجانب التعبدي، ركز فيهما على الفوائد التربوية المستنبطة من الأحاديث، ونادرًا ما كان يتعرض للجوانب البلاغية فيها على استحياء، ومن المؤلفات التي تناولت أحاديث رسول الله مع الطفل: كتاب مطبوع عنوانه: (منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين) لمؤلفه: محمد نور ابن سويد، سرد فيه المؤلف عددًا من الأحاديث النبوية دلل بها على هذا المنهج، دون أن يشير إلى جانب بلاغي واحد في هذه الأحاديث التي ذكرها، فمنهج هذه البحوث قائم على سرد الأحاديث، والاكتفاء بها كأدلة على صدق ما يقولون، وإن كانت هناك إشارات بلاغية، فهي عارية من التحليل وسبر الأغوار مما جعلها أشبه ما تكون بالخواطر المرسلة، ومنهج الإجمال والتعميم لا يتفق ومقتضيات البلاغة المنهجية والبحث العلمي الدقيق، وهذا ما ذكره الإمام عبد القاهر ـ في معرض حديثه عن الفصاحة ـ حيث قال:" لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياساً ما، وأن تصفها وصفاً مجملًا، وتقول فيها قولًا مرسلًا، بل لا تكون من معرفتها في شيء، حتى تفصِّل القول وتحصِّل، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم، وتعدها واحدة واحدة، وتسميها شيئًا شيئًا، وتكون معرفتك معرفة الصنَّع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي في الدِّيباج، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع، وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع"[(١)]، وقد دفعني ذلك إلى

(١) دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني ص: ٣٧ تحقيق: محمود محمد شاكر. مطبعة الخانجي. القاهرة.

أن يكون موضوع البحث: (من بلاغة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال) في محاولة مني للوقوف على بعض الأسرار البلاغية في تلك الأحاديث، والكشف عن خصائص التراكيب فيها، واستجلاء دقائقها.

وقد اعتمدت ـ في هذا البحث ـ على المنهج البلاغي التحليلي للأحاديث النبوية الواردة فيه، وهو منهج يقوم على تحليل المفردات والتراكيب، ومناقشة القضايا البلاغية، مستعينًا بالمؤلفات البلاغية، وشروح الحديث التي عنيت ببيان الجوانب التطبيقية، والكشف عن بعض الأسرار البلاغية في الحديث النبوي.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتألف البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، والمنهج الذي اتبعته، والخطة التي سرت عليها.

وأما التمهيد، فقد تناولت فيه تعريف الطفل في اللغة والاصطلاح، واهتمام الإسلام به قبل ولادته وبعد ولادته.

وأما المبحث الأول: فقد تناولت فيه بلاغة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في مقام التعليم.

وأما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه بلاغة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في مقام المداعبة.

وأما المبحث الثالث: فقد تناولت فيه خصائص أسلوب الحديث النبوي الموجه إلى الأطفال.

وأما الخاتمة، فقد ذكرت فيها خلاصة البحث، وأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع، والتوصيات المقترحة.

وبعد: فإن الكمال لله وحده، فما كان في هذا البحث من خير فهو من توفيق الله وتسديده، وما كان من خطأ وزلل وتقصير، فالله اسأل أن يقيل عثراتي، ويغفر زلاتي، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

الطفولة هي أهم مرحلة عند الإنسان؛ لأنها الأساس لما بعدها من المراحل؛ ففيها تأخذ الشخصية في تكونها وظهورها وتميزها عن غيرها، وفيها يكتسب الطفل عاداته وأخلاقه الكريمة أو الذميمة، عن طريق القدوة أو التعليم والتوجيه والإرشاد؛ ولذلك اهتم ديننا الحنيف بالطفل ورعايته اهتماما بالغا، وجاء بمبادئ وأسس وقوانين تفوق جميع القوانين والأنظمة الوضعية قديمها وحديثها، وترك لنا تراثا ثمينًا، وثقافة عالية لا نجد لها مثيلا في الأديان السابقة، ولم يصل إليها حتى الآن كبارُ المفكِّرين والمربِّين.

فالإسلام ينظر إلى الطفل على أنه زينة الحياة الدنيا، وزهرة أيامها، وشباب الغد الذي تنعقد عليه آمال الأمة ومستقبلها.

وفيما يلي تعريف للطفل في اللغة والاصطلاح، واهتمام الإسلام به قبل ولادته وبعد ولادته.

أولًا: تعريف الطفل في اللغة

يقول ابن فارس ت٣٩٥هـ: "الطاء والفاء واللام أصل صحيح مطرد، ثم يقاس عليه، والأصل: المولود الصغير، يقال: هو طفل والأنثى طفلة".[١]

والطفل:" الصغير من كل شيء، أو المولود، وولد كل وحشية أيضًا، وجمعه أطفال"[٢].

والطفل:" الولد الصغير من الإنسان والدواب ....ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع، قال تعالى:﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[٣]، ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث فيقال: طفلة وأطفال وطفلات، وأطفلت كلُّ أنثى إذا ولدت فهي مُطفِل، قال بعضهم: ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز، ثم لا يقال له بعد ذلك طفل، بل صبي ويافع ومراهق

(١) مقاييس اللغة . أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق: عبد السلام محمد هارون . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ٤١٣/٣ كتاب الطاء . باب الطاء والفاء وما يثلثهما .
(٢)القاموس المحيط للفيروزابادي٧/٤ فصل الطاء . باب اللام . طبع: الهيئة المصرية للكتاب ١٤٠٠هـ.١٩٨٠م.
(٣) سورة النور . الآية:٣١.

وبالغ"[١].

ثانيا: تعريف الطفل اصطلاحًا

عرف الفقهاء الطفل بقولهم:" الطفل هو الصبي حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم"[٢]

"والصغر: وصف في الإنسان من حين ولادته إلى أن يبلغ الحلم"[٣].

أما الطفل عند علماء النفس، فهو الإنسان من لحظة الميلاد إلى آخر السنة الثانية عشرة، والطفولة عندهم هي الفترة المبكرة من حياة الإنسان التي يعتمد فيها ـ اعتمادًا كليًا ـ على والديه في الأمور التي تحفظ حياته، وقد قسموا هذه الفترة قسمين:

القسم الأول: من لحظة الميلاد إلى نهاية العام الثاني، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة المهد[٤]، وتكون خبرة الوليد في هذه الفترة معدومة.

القسم الثاني: مرحلة الطفولة، وتبدأ من أول السنة الثالثة إلى أواخر الثانية عشرة، وقسموا هذه المرحلة إلى ثلاث فترات هي:

- فترة الطفولة المبكرة وتبدأ من السنة الثالثة إلى آخر الخامسة، وفي هذه الفترة لا يستطيع الطفل أن يفرق بين الأشياء.
- فترة الطفولة المتوسطة، وتبدأ من السنة السادسة إلى التاسعة، وفي هذه الفترة يبدأ عقل الطفل في نشاطه الإدراكي والتمييز بين الأشياء؛ ولهذا عدَّ علماء النفس هذه الفترة مجالًا طيبًا لغرس المثل العليا والقيم الأخلاقية؛ لأنه يشعر بالصواب والخطأ؛ ويؤنب نفسه بنفسه، وهذا مصدق لما أمر به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يؤمر الصبي بالصلاة لسبع.

---

(١)المصباح المنير أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ . كتاب الطاء مع الفاء وما يثلثهما ص:١٤٢ . ط: مكتبة لبنان ١٩٨٧م.

(٢) رد المُحتار على الدُّر المختار شرح تنوير الأبصار. ابن عابدين . ٣١٥/٣ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض . طبعة دار عالم الكتب . الرياض ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

(٣) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة . عبد الرحمن الجزيري ٢١٣/٢ طبعة دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . طبعة ثانية١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

(٤) علم النفس التكويني " أسسه وتطبيقه" من الولادة إلى الشيخوخة . د/ عبد الحميد محمد الهاشمي ص:٨٦ . دار المجمع العلمي بجدة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

- فترة الطفولة المتأخرة، وتبدأ من السنة التاسعة إلى الثانية عشرة، وفي هذه الفترة يكون الطفل مميزا؛ لأنه يبدأ في مرحلة البلوغ التي تبدأ عند الفتاة من التاسعة، وعند الصبي من العاشرة.

ويرى علماء النفس أن مرحلة الطفولة ليست مهمة في حد ذاتها، بل هي قنطرة يعبر عليها الطفل حتى ينضج عقليًا ونفسيًا واجتماعيًا وخلقيًا وروحيًا وتتشكل خلالها حياته ككائن اجتماعي(١).

ثالثًا: اهتمام الإسلام بالطفل قبل ولادته وبعد ولادته

الطفولة هي مهْد الشباب، وربيع المستقبل، ودعامة المجتمع، وروحه اليقظة، ودرعه الأمين؛ ومن أجل هذا اهتمَّ الإسلام بالطفل منذ ولادته، بل من قبلِ ولادته، حين أمر من يرغب في الزواج بحسن الاختيار، ووضع له القواعد التي يختار على أساسها، فقد حدد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للراغب في الزواج من الرجال ـ مجموعة من الأسس التي يختار عليها زوجته في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال:" تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذاتِ الدِّين تَرِبَتْ يداك"(٢)، والمراد من هذا الحديث الشريف أن يقصد الراغب في الزواج ذات الدين أولًا، ولو توفر في ذات الدين، الحسب، أو الجمال، أو المال، فذلك أفضل، لكن شيئًا من ذلك لا قيمة له إن لم يقترن بالدين، والمقصود بالاختيار على أساس الدين أن يكونَ الاختيارُ على أساس الفهم الصحيح للدين، والالتزام بمنهجه ومبادئه الخالدة؛ حتى ينشأ الطفل الناتج عن هذا الزواج على الطهارة والعفة والاستقامة؛ فالزوجة بمنزلة التُّربة التي تلقى فيها البذور، فإن كانتْ صالحة أنبتتْ نباتًا حسنًا.

---

(١) ينظر: علم النفس التكويني ص: ١٢٦ وما بعدها، الطفل المثالي في الإسلام ـ عبد الغني الخطيب ص: ٧ ط: المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ سوريا طبعة ١٤٠٠هـ ، علم نفس النمو(الطفولة والمراهقة) د. حامد عبد السلام زهران ص: ١٦١ وما بعدها " بتصرف" ط: دار المعارف ١٩٨٦م.

(٢)الجامع الصحيح للمسند من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ـ كتاب النكاح ـ باب الأكفاء في الدين ـ حديث (٥٠٩٠) ٣/٣٦٠.

وكما حبب الإسلام للرجل أن يختار زوجته على أساس الدين حبب كذلك للمرأة أن تختار زوجها على هذا الأساس، فقال صلى الله عليه وسلم:" إذا خطب إليكم مَن تَرضَون دينَه وخُلُقه فزوِّجوه، إلا تَفعَلُوا تكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض"(١).

وثمة أمور أخرى يظهر فيها اهتمام الإسلام بالطفل قبل ولادته، كجواز فطر المرأة من أجل الحمل، أو تأجيل إقامة الحد عليها حتى تضع حملها وترضعه، أو تشريع عدة مخصوصة لحفظ ميراثه، ولا مجال هنا لتشقيق القول في هذه الأمور؛ لأن مجالها مباحث الفقه، وإنما أردت أن أُنوه إلى اهتمام الإسلام بالطفل وعنايته به قبل ولادته.

وكما اهتم الإسلام بالطفل قبل ولادته اهتم كذلك به بعد ولادته، ويظهر ذلك في عدة أمور منها:

- **الأذان في أُذن المولود**

فقد كان من هدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يؤذن في أذن المولود. لما روي عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال:" رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذن في أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة"(٢)، والحكمة من ذلك هي أن يكون الأذان بمثابة تلقين الطفل الشهادة عند دخوله الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وليكون أول ما يقرع أذنه كلمات التكبير والتهليل الدالة على عظمة خالقه.

- **تحنيك المولود والدعاء له بالبركة**

فالتحنيك سنة واردة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو:" أن

(١) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة . رضي الله عنه . كتاب النكاح . باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ٣٨٦/٣ حديث(١٠٨٤) ينظر: سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي طبعة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

(٢)سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعس السجستاني الأزدي . إعداد وتعليق: عزت عُبيد الدعاس وعادل السيد . كتاب الأدب . باب: الصبي يولد فيؤذن في أذنه حديث (٥١٠٥) ٢٠٩/٥ . دار ابن حزم . بيروت١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

تمضغ التمر، ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه"[١]، وقد ورد في ذلك كثير من الأحاديث النبوية، منها ما روي عن أسماء بنت أبى بكر ـ رضي الله عنهما ـ أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة، فنزلت قباء فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له، فبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام. ففرحوا به فرحًا شديدًا؛ لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم، فلا يولد لكم"[٢]، وقد ذكر ابن حجر(ت٨٥٢هـ) الحكمة من التحنيك فقال: " ليتمرن الصبي على الأكل ويقوى عليه"[٣].

- **تسمية المولود**

وقد اهتم الإسلام بتسمية المولود، ووضع لها أحكامًا تُشعر بأهمية التسمية، والاعتناء بها، ولعل أهمها: إحسان تسمية المولود؛ فقد حث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته على التسمية الحسنة لأبنائهم فقال:"إنكم تدعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم؛ فحسنوا أسماءكم"[٤]؛ ذلك لأن الطفل في دنياه يتأثر نفسيًا باسمه وكنيته، فنجد بعض الأطفال يعانون من أسمائهم؛ لغرابتها، أو لأنها تحمل معان سيئة، بينما لو منحه أبواه اسمًا جميلًا، ذا معنى جميل، فإن ذلك ينعكس عليه ويبعث في نفسه البهجة والسعادة، وما أكثر الأسماء التي غيرها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي ربما كانت تسبب حرجًا للأطفال، وعلى سبيل المثال: ما روي عن عبد

(١) لسان العرب لابن منظور. حرف الحاء (حنك). المجلد الثاني ص: ١٠٢٨. طبعة دار المعارف.
(٢) الجامع الصحيح للمسند من حديث رسول الله. صلى الله عليه وسلم. وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كتاب العقيقة. باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه، وتحنيكه حديث (٥٤٦٩) ٤٤٩/٣ ـ
(٣) فتح الباري (شرح صحيح البخاري) للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٢٨/٩. طبعة دار السلام. الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
(٤)رواه أبو داود في سننه عن أبي الدرداء. رضي الله عنه. ينظر: سنن أبي داود. كتاب الأدب. باب في تغيير الأسماء ١٤٩/٥ حديث(٤٩٤٨).

الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير اسم عاصية، وقال "أنت جميلة"[١].

- **العقيقة وحلق رأسه يوم السابع من ولادته والتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة**

وذلك امتثالًا لفعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ فقد روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: عقَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحسن بشاة فقال:" يا فاطمة، احلقي رأسه، وتصدقي بزنة شعره فضة، قال: فوزنَتْهُ فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم"[٢].

وفي حلق رأس المولود مجموعة من الحكم منها: إماطة الأذى عنه، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى"[٣]، وقد سُئِل الحسن عن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "أَمِيطُوا عنه الأذى"، فقال: "يحلق رأسه".[٤] وقد أثبت العلم الحديث أن في إزالة شعر المولود" تقوية للشعر الجديد، وفتحًا لمسام الرأس، وتقوية لحواسه"

- **الختان**

فمن عناية الإسلام واهتمامه بالطفل: الختان، وهو:" قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى تنكشف جميع الحشفة، وفي المرأة : قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج" [٦]، ويسمى هذا بالنسبة لهن خفاضًا، وهو حق مشروع للذكر والأنثى؛ فهو رأس الفطرة وشعار الإسلام، ومما يدل على

(١)رواه مسلم في صحيحه . كتاب الآداب . باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن . حديث (٢١٣٩) ينظر: صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . طبعة دار المغني ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) سنن الترمذي . كتاب الأضاحي . باب العقيقة بشاة حديث(١٥١٩) ٩٩/٤.

(٣) الجامع الصحيح للبخاري . كتاب العقيقة . باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة . حديث (٥٤٧١) ٤٥٠/٣.

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية . تحقيق: عثمان بن جمعة بن ضميرية. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ص: ١٤٩ طبعة أولى ١٤٣١هـ .

(٥) تربية الطفل في الإسلام . أحمد محمود الحمد ص: ٩٢ دار النشر الدولي . الرياض طبعة ١٤٢٤هـ .

(٦) الإحكام شرح أصول الأحكام ـ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ٤٥/١ طبعة ثانية١٤٠٦هـ" بدون ناشر".

مشروعيته: ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "الفطرة خمسٌ أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب"(١)، ففي هذا الحديث جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الختان على رأس الفطرة، وهذا مما يدل على أهميته.

ومنها: ما أخرجه أبو داود عن أم عطية الأنصارية : أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَخْتِنُ بِالْمَدِيْنَةِ ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"لا تُنْهِكِي؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْظَى لِلْمَرَأَةِ وَأَحَبُّ إِلَي البَعْلِ"(٢)، وقد اختلف الفقهاء في حكمه، فمنهم من أوجبه في حق الرجال وجعله مكرمة في حق النساء، ومنهم من جعله سنة في حقهما، وأرى أنه لا وجه للتفريق في حكمه بين الرجال والنساء وأنه سنة في حقهما، وهذا ما عليه جلُّ العلماء قديمًا وحديثًا ومن هؤلاء العلماء ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الأسبق ـ رحمه الله ـ حيث قال :" ...ومن هنا اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الختان للرجال والنساء من فطرة الإسلام وشعائره، وأنه أمر محمود، ولم ينقل عن أحد من فقهاء المسلمين ـ فيما طالعنا من كتبهم التي بين أيدينا ـ القول بمنع الختان للرجال أو النساء، أو عدم جوازه، أو إضراره بالأنثى، إذا هو تم على الوجه الذي علمه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأم عطية، أما الاختلاف في وصف حكمه بين واجب وسُنة ومكرمة ، فيكاد يكون اختلافًا في الاصطلاح الذي يندرج تحته الحكم"(٣)، ومن هؤلاء العلماء أيضًا: الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية الأسبق، حيث قال:" هو سنة تنظيمية، والشريعة أجازته"(٤).

- **الرضاع**

فقد جعل الإسلام للطفل حقًا في الرضاعة الطبيعية ـ حولين كاملين لمن

(١) الجامع الصحيح ـ كتاب اللباس ـ باب قص الشارب ٧٢/٤.
(٢) سنن أبي داود ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في الختان٢٦٤/٥
(٣)كتاب الختان لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ص:١٦ ـ ملحق مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى ١٤١٥هـ.
(٤) من مقال نُشِر في جريدة الوفد المصرية العدد:(٣٠٩٥) الاثنين١٧ رمضان١٤١٧هـ يناير١٩٩٧م.

أراد أن يتم الرضاعة ـ من أمه أو من امرأة أخرى، وكلف الإسلام الأب بالإنفاق على الأم المرضعة على قدر وسعه فقال تعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[(١)] قال ابن عطية:" (يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ) خبر في معنى الأمر على الوجوب لبعض الوالدات"[(٢)]، وفطامه ينبغي أن يكون تدريجيًا؛ حتى لا يسبب صدمة نفسية للطفل قال ابن القيم رحمه الله:" وينبغي للمرضع إذا أرادت فطامه أن تفطمه على التدريج، ولا تفاجئه بالفطام وهلة واحدة، بل تعوده إياه، وتمرنه عليه؛ لمضرة الانتقال عن الإلف والعادة مرة واحدة"[(٣)].

وهناك الكثير من الحقوق التي أوجبها الإسلام على الوالدين تجاه الطفل، كحقه في الإنفاق عليه، وحضانته، وتربيته وتعليمه، مما يدلل على عناية الإسلام بالطفل والاهتمام به، ولكن حسبنا في هذا البحث أن نستعرض طرفا من تربية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للطفل المسلم من خلال التحليل البلاغي لبعض الأحاديث التي خاطب بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطفل في مقام تعليمه، ومقام مداعبتة وملاطفتة، فعلى الله العون ومنه التوفيق.

(١) سورة البقرة الآية:٢٣٣.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت:٥٤٦هـ ٣١٠/١ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
(٣) تحفة المودود بأحكام المولود (مرجع سابق) ص:٣٤٤.

المبحث الأول

من بلاغة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في مقام التعليم

شاء الله – تبارك وتعالى ـ بحكمته وفضله أن يختار نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين البشر ويصطفيه، ويخصه بما لم يخصَّ به أحدًا من العالمين، حتى كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة للناس في كل شيء﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] فإذا نظرت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيًا ورسولا، وجدته أفضلهم وخاتمهم، وإذا نظرت إليه زوجا، وجدته خير الأزواج لأهله وأحسنهم معاشرة ومعاملة، وإذا نظرت إليه في معاملته مع الأطفال وجدته أحسن الناس تربية وأكثرهم عطفا وحنانا.

ومن يتأمل سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد أنه أعطى الطفل نصيبًا من وقته، وجانبًا كبيرًا من اهتمامه، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأطفال أبًا حنونًا، ومربيًا حكيمًا، يداعب، وينصح ويربي، وفي حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مواقف تعليمية وتربوية ـ مع الأطفال ـ تحتاج منا إلى وقفات، لاستخراج فوائدها، وقطف ثمارها، والاقتداء بها، والتعامل من خلالها مع أطفال اليوم الذين هم رجال الغد والمستقبل، فقد فطن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أن التعامل الناجح مع الطفل يعتمد على أساليب تربوية مدروسة، تقوم على العلم والتجربة وسعة الصدر والصبر والاحتواء، ونظرًا لأهمية تلك المرحلة العمرية فقد صاغ لها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهجًا تعليميا، أنتج شخصيات ناجحة منجزة، وقيادات متميزة فذة، وعلماء متفردين عباقرة.

وفيما يلي تحليل بلاغي لطائفة من الأحاديث النبوية التي خاطب فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأطفال في مقام التعليم تكشف عن بعض

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الجوانب البلاغية في حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأطفال ومدى حرصه على تعليمهم بأسلوب تربوي موجز.

❁ عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت غُلامًا فِي حَجْرِ رسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكَانتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[(١)].

ففي هذا الحديث الشريف: يخاطب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طفلا صغيرًا كان في حَجرِه[(٢)] هو عمر بن أبي سلمة [(٣)] . رضي الله عنه ـ يعلمه ويرشده إلى الطريقة المثلى التي يتناول بها طعامه، حين رأى يده تطيش في الصحفة عند الأكل، أي تتحرك فتميل إلى نواحي القصعة ولا تقتصر على موضع واحد، فلما رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه هذا السلوك الخاطئ خاطبه موجها ومرشدا بقوله : (يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ....) وقد بدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثه مع الطفل بالنداء، للتنبيه، وإيقاظ المشاعر والأحاسيس، فقال: (يَا غُلامُ)، واستخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أداة النداء (يا) وهي موضوعة لنداء البعيد مع أن الطفل قريب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل إنه يجلس معه على مائدة واحدة؛ وذلك لأن الأمر

(١) رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب ا لأطعمة ـ باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين، ينظر: الجامع الصحيح، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري٤٣١/٣ تحقيق: محب الدين الخطيب، ط: المكتبة السلفية بالقاهرة ١٤٠٠هـ.

(٢)حَجر: بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم، أي في تربيته وتحت نظره وأنه يربيه في حضنه تربية الوالد، والحجر يطلق على الحضن وعلى الثوب فيجوز فيه الفتح والكسر، وإذا أريد به معنى الحضانة فبالفتح لا غير، فإن أريد به المنع من التصرف فبالفتح في المصدر وبالكسر في الاسم لا غير. ينظر: فتح الباري (شرح صحيح البخاري) للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٦٤٧/٩ طبعة دار السلام ـ الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٣) هو: عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى أبا حفص، ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، وأمه أم سلمة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان عمر أصغر سنا من أخيه سلمة، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة سنة ثلاث وثمانين، وكان له يوم قبض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسع سنين. ينظر: كتاب الطبقات الكبير ـ محمد بن سعد بن منيع الزهري٥٣٢/٦، ٥٣٣ تحقيق: الدكتور على محمد عمر ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين بن الأثير١٦٩،١٧٠/٤ تحقيق: الشيخ على محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

الآتي بعد النداء من الأمور المهمة المعنيُّ بها، فالطفل مشغول بالطعام غير ملتفت لسواه، وقد نبه علماء البلاغة على أنه قد ينزل غير البعيد ـ وهو الحاضر ـ منزلة البعيد، لتنزيل المنادى منزلة ذي غفلة لعظم الأمر المدعو له حتى كأن المنادى غافل عنه مقصر[١]. ففي استخدام حرف النداء الموضوع للبعيد مراعاة لحال الطفل؛ لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد أن ينبه ذهن الطفل؛ ليعي ما يتلقاهُ بعد النداء من تعليم وإرشاد يصحح له طريقة تناوله لطعامه طيلة حياته، و(الغلام) من كان دون البلوغ، ويقال للصبي من حين ولادته إلى أن يشب ويبلغ الحلم[٢]، وهي كلمة تلمس فيها التودد والتحبب، وتهيئ للطفل جوا من الراحة النفسية والطمأنينة؛ يحقق معه الخطاب النبوي أهدافه التربوية بالطريقة الحسنى، والمنهجية المتميزة.

وبعد أن نبهه بالنداء وهيأ نفسه للتلقي جاء الأمر تلو الأمر(سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ) ، وقد فصلت جملة الأمر(سَمِّ اللهَ) عما قبلها، لشبه كمال الاتصال[٣]؛ لأنها جاءت جوابا لسؤال يثيره قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (يَا غُلامُ)، وكأن الطفل يسأل: ماذا تريد أن تعلمني يا رسول الله؟ فجاء الجواب: (سَمِّ اللهَ...).

وبالتأمل في الجملة الأولى المقتضية لجواب من الجملة الثانية، نجد أنه على أي احتمال أو تقدير يكون الفصل متعينًا، لذا يقول البلاغيون: " إن نُظِر إلى معنى السؤال ومعنى الجواب، فبينهما شبه كمال اتصالٍ، وإن نُظِر إلى لفظيهما فبينهما كمال الانقطاع؛ لكون السؤال إنشاء والجواب خبرا، وإن نُظِر إلى قائليهما، فكل منهما كلام متكلم، ولا يُعطفُ كلام متكلم على كلام متكلم آخر فعلى جميع التقارير الفصل متعين"[٤].

(١) ينظر: مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، وحاشية الدسوقي على مختصر السعد٢/٢٣٤" ضمن شروح التلخيص". طبعة دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
(٢) القاموس المحيط للفيروزابادي الشيرازي ٤/٤١٦ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
(٣) شبه كمال الاتصال معناه: أن تكون الجملة الثانية منزلة من الجملة الأولى منزلة الجواب عن السؤال، فتفصل الثانية كما يفصل الجواب عن السؤال. ينظر الإيضاح في علوم البلاغة . الخطيب القزويني ص: ١٥٩ طبعة دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
(٤) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي٣/٥٣ " ضمن شروح التلخيص

والأمر في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ) خرج من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي يستفاد من سياق الكلام هو التعليم والإرشاد، وقد تضمنت هذه الجمل الثلاث إيجازا بالحذف، حيث إن مقتضى الظاهر أن يقال ـ في الجملة الأولى ـ : قل بسم الله الرحمن الرحيم، وفي الجملة الثانية: كل بيدك اليمنى ، فحذف الموصوف وهو اليد وعبر عنه بالصفة وهو(يمينك)، وفي الجملة الثالثة: حذف الجار والمجرور؛ لأن التقدير: وكل مما يليك من الصحفة، وهذا الإيجاز فيه مراعاة لحال الطفل، فالرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرِض توجيهاته ونصائحه للطفل، بأسلوب سهل مباشر، يتناسب مع قدرته على الفهم، معتمداً على كلمات مختصرة مفيدة، لا تطويل فيها؛ "لأن الخطاب المباشر في مخاطبة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وترتيب المعلومات.....؛ يجعل الطفل أشدّ قَبولا، وأكثر استعدادا للتلقي"[(١)].

والوصل بين الجمل في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)، للتوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجمل في الإنشائية لفظا ومعنى فجميعها مصدَّر بفعل الأمر مع التناسب بين هذه الجمل، حيث إن موضوعها واحد وهو تعليم الطفل آداب الطعام، ومجيء هذه الجمل موصولة يشعر الطفل بأهمية ما يلقى إليه من آداب، ومراعاتها في حياته.

وقد رتبت الأوامر الثلاث ترتيبا علميا محكما يساعد على حفظ المعلومة ورسوخها في ذهن الطفل حيث بدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأمر بالتسمية، ثم الأكل باليمين، ثم الأكل من الطعام القريب، فهو ترتيب في غاية الدقة والإبداع، وهذا ما يسميه البلاغيون" حسن النسق"[(٢)]، وفي هذا الترتيب لفتة تربوية مهمة، وهي أن المربي الناجح ينبغي أن يقدم ما يريده إلى الأطفال

(١) منهج التربية النبوية للطفل (مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين) ص: ١١٦تأليف: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد . طبعة دار ابن كثير . دمشق . بيروت . طبعة ثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٢) حسن النسق يعده البلاغيون من محاسن الكلام، وهو أن تأتي الكلمات متلائمة متلاحمة تلاحما سليما مستحسنا، ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ابن أبي الإصبع المصري ص: ٤٢٥ تحقيق: حفني محمد شرف . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

مرتبا ترتيبا موضوعيا يتناسب مع أعمارهم ومع مستوياتهم العقلية؛ ولذلك كان لهذه النصائح أثرها البالغ في نفس عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ؛ حيث قال: (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ)، أي: لزمت ذلك، وصار عادة لي في جميع ما تقدم من الابتداء بالتسمية والأكل باليمين والأكل مما يليه[١].

❁ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَوْمًا، فَقَالَ:" يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[٢] .

وفي هذا الحديث يوصي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن عمه عبد الله بن عباس[٣] ـ رضي الله عنه ـ بوصية جامعة يأمره فيها بحفظ الله بفعل أوامره وترك نواهيه، وأن لا يسأل غير الله، وأن لا يستعين إلا به، وأن يفوض أمره كله لله؛ فإنه لا يملك الضر والنفع إلا الله.

وقد صاغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم هذه الوصايا صياغة بلاغية مختارة تجمع بين سهولة الألفاظ والتراكيب ووضوح المعاني والدلالات، وبأسلوب تربوي يدلل على إنسانية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه قدوة للآباء والأمهات في اغتنام الفرص والمناسبات لتوجيه الصغار وتعليمهم.

---

(١) فتح الباري ٦٤٨/٩.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح . كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب ما جاء في صفة أواني الحوض ٦٦٧/٤، ينظر: سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة . تحقيق : إبراهيم عطوة عوض . مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي طبعة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن عم الرسول . صلى الله عليه وسلم . العباس بن عبد المطلب، ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وانتقل إلى دار الهجرة سنة الفتح، صحب النبي . صلى الله عليه وسلم . نحو ثلاثين شهرا، وحدث عنه،كان . رضي الله عنهما . وسيما جميلا، مديد القامة، مهيبا، كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال، توفي رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ولابن عباس ثلاث عشرة سنة، ومسنده ألف وستمائة وستون حديثا، توفي سنة ثمان أو سبع وستين من الهجرة. ينظر:سير أعلام النبلاء . الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي٣٣١/٣ وما بعدها تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغرجي . مؤسسة الرسالة . طبعة ثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

وأول ما يلفت النظر في هذا الحديث النبوي الشريف، هو كثرة أسلوب الأمر، وأساليب الشرط؛ نظرا لأن هذه الأساليب البلاغية هي الأنسب لمقام التعليم والنصح والإرشاد، لكن الحديث على جملته حافل بالأسرار البلاغية التي تدل على جوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى تمكنه من لغة البيان، ومراعاته لحال المخاطب.

وقد بدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثه مع ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: (يَا غُلَامُ)، وقد قلت في الحديث السابق: إن قوله: (يَا غُلَامُ) تلمس فيها التودد والتحبب، وتهيئ للطفل جوًّا من الراحة النفسية والطمأنينة؛ يحقق معه الخطاب النبوي أهدافه التربوية بالطريقة الحسنى، والمنهجية المتميزة، وقد استخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ندائه لابن عباس حرف النداء(يا)، الموضوع للبعيد، ـ مع أن المنادى شديد القرب منه، فهو خلفه على الدابة ـ وفي ذلك إشعار ببعد منزلته، وحب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقديره له، كما أن المخاطب القريب هنا طفل، ومن سمات الأطفال عدم التركيز والميل إلى اللهو واللعب، فكانَ النداءُ بهذه الأداة هو الأنسب لحال الطفل والأجدر بالمقام، وكأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد من ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن يتنبه لما بعد النداء، وأن يتهيأ ذهنه لتلقيه، ويوقظ فكره لفهمه؛ لما له من الأثر العظيم في مستقبل حياته.

ومجيء الجملة مؤكدة بـ (إن) في قوله: (إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ) يعد تنبيها آخر للطفل بعد التأكيد بالنداء في قوله : (يَا غُلَامُ)؛ وذلك ليهيئ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفس ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أكمل تهيئة، حتى يصبح مستعدا لقبول ما يلقى إليه.

وتنكير(كَلِمَاتٍ) يدل على التعظيم فهي كلمات قليلة في ألفاظها ولكنها عظيمة في فوائدها والانتفاع بها، وإنما عبر عنها بجمع المؤنث السالم وهو من جموع القلة، فلم يقل: إني أعلمك كلاما، مراعاة لحال المخاطب فهو يومئذ طفل صغير لا يناسبه التطويل في الكلام، وإنما يناسبه الكلام الموجز الذي لا يصرفه عما يلقى إليه من نصائح وتوجيهات.

وقد فصل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين قوله: (يَا غُلَامُ)، وقوله: (إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ)، والسر البلاغي لهذا الفصل هو كمال الانقطاع بلا إيهام؛ لأن الجملة الأولى إنشائية لفظا ومعنى، والجملة الثانية خبرية لفظا ومعنى.

وبعد أن نبهه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيقظ مشاعره، جاءت التوجيهات النبوية بأسلوب موجز تلمس فيه حرص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صلاح أمر هذا الغلام الصغير فيقول له: (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ)، وهو أسلوب أمر خرج من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي هو النصح والإرشاد كما هو واضح من السياق، وقد تضمنت هذه الجملة إيجازًا بحذف المضاف؛ لأن المعنى : احفظ حدود الله، أو احفظ أوامره ونواهيه، وفي قوله: (يَحْفَظْكَ)، حذف الجار والمجرور؛ لأن التقدير: يحفظك في دينك أو نفسك أو أهلك أو مالك، ولا شك أن الحذف في الجملتين أبلغ من الذكر؛ لأن الحذف يجعل النفس تذهب في تقدير المحذوف كل مذهب، كما قال الرماني رحمه الله(١).

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) استعارة مكنية، حيث شبه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرائع الله وأحكامه بالشيء الذي يصان ويحفظ من الضياع، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الحفظ، وفي هذا التعبير حثٌّ على الامتثال لأوامر الله وإقامة شرعه وتحقيقه؛ لأن الاستعارة عرضت المعنى المجرد في صورة محسوسة، وهذا شأن الاستعارة " تجعل القارئ يحس بالمعنى أجمل إحساس وأوفاه، إذ تُصور المنظر للعين، وتنقل الصورة للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا"(٢).

ونلحظ في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ) إبهامًا تتطلع النفس إلى بيانه، وتترقب إيضاحه، وقد جاء هذا الإيضاح في قوله ـ

(١) النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ص:٧٧" ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني" تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام . دار المعارف . الطبعة الرابعة" بدون".

(٢) التعبير الفني في القرآن الكريم . د/ بكري شيخ أمين ص: ١٩٥ طبعة دار الشروق . بيروت . لبنان . طبعة ثانية ١٩٧٦م.

صلى الله عليه وسلم ـ: (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ.....)، والإيضاح بعد الإبهام صورة من صور الإطناب تريك المعنى في صورتين مختلفتين؛ ليتمكن في النفس فضل تمكن، "فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم"(١)، وقد تكرر هذا اللون البلاغي كثيرا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى ـ في قصة لوط عليه السلام ـ :﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾(٢) فكلمة﴿الْأَمْر﴾ مبهمة، فُسِّرت ووُضِّحت بقوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) نجد لونا آخر من الإطناب، هو التكرار، حيث بدأت هذه الجملة بمثل ما بدأت به سابقتها وهو الأمر بحفظ الله، والتكرار من الفنون البلاغية التي لاقت اهتماما كبيرًا من الدارسين لأساليب القرآن والأحاديث النبوية، والتكرار في هذه الجملة له فائدتان، أولهما: التأكيد على حفظ أوامر الله واجتناب نواهيه، وثانيهما: استمالة المخاطب وترغيبه في قبول النصح والإرشاد. وقد فصلت هذه الجملة عن سابقتها، لكمال الاتصال؛ لأنها مؤكدة لها، ومنزلة منها منزلة التأكيد المعنوي.

و(تُجَاهَكَ)،" بضم التاء وفتح الهاء بمعنى أمامك، أي: تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة حيثما كنت فتأنس به، وتستغني به عن خلقه، فهو تأكيد لما قبله....وخص الأمام من بقية الجهات الستة؛ إشعارا بشرف المقصد وأن الإنسان مسافر إلى الآخرة غير قارٍّ في الدنيا، والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير، فكأن المعنى: حيثما توجهت وتيممت وقصدت من أمر الدارين تجده معك"(٣).

(١) الإيضاح للخطيب القزويني ص:١٩٦.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٦٦.
(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ـ محمد بن علي بن محمد علان٢٤٧/٧ ـ ضبط وتصحيح: عبد المنعم خليل إبراهيم ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

وعلى ذلك فالتعبير بقوله: (تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) من باب المجاز المرسل بعلاقة السببية، حيث أطلق المعية وأراد الحفظ والإحاطة والتأييد، والقرينة: استحالة المعنى الحقيقي على الله تعالى.

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) توضيح للوجهة التي ينبغي لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن يتوجه إليها إذا أراد أن يدعو بشيء أو يستعين على شيء، فيقول له: "إذا أردت السؤال فاسأل الله وحده؛ لأن غيره لا يقدر على الإعطاء والمنع، ودفع الضرر وجلب النفع، وإذا أرت الاستعانة فاستعن بالله؛ فإنه المستعان وعليه التكلان"(١).

والتعبير ب (إِذَا) في الموضعين دون (إن)، له دلالته البلاغية؛ لأن سؤال المؤمن ربه واستعانته به ينبغي أن يكون من الأمور المحققة الوقوع؛ ولذلك قال الخطيب: "الأصل في (إن) أن لا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه، كما تقول لصاحبك: (إن تكرمني أكرمك) وأنت لا تقطع بأنه يكرمك، والأصل في (إِذَا) أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه؛ ولذلك كان الحكم النادر موقعا لـ (إنَّ)؛ لأن النادر غير مقطوع بوقوعه في غالب الأمر، وغلب لفظ الماضي مع (إِذَا) لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظرا إلى اللفظ"(٢).

أما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ)، فهو تنبيه لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على أن ما يصيبه في دنياه مما ينفعه أو يضره إنما هو بأمر الله تعالى، حتى ولو اجتمعت الأمة كلها على نفعه أو ضره، وبدأ التنبيه بفعل الأمر (وَاعْلَمْ) الذي خرج من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي هو التنبيه لما يرد بعده من أخبار.

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٢٢٠/٧ تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ـ ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
(٢) الإيضاح للخطيب القزويني ص: ٩١.

والتعبير بأداة الشرط (لَوْ) يدل على أن اجتماع الأمة لنفعه أو لضره من الأمور المستحيلة؛ لأن (لَوْ) " للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء، كانتفاء الإكرام في قولك: (لو جئتني لأكرمتك)؛ ولذلك قيل: هي لامتناع الشيء لامتناع غيره"[١] أي امتناع الجزاء لامتناع الشرط، وأفرد الضمير في الأول(اجْتَمَعَتْ)؛ مراعاة للفظ الأمة، وجمعه في الثاني(اجْتَمَعُوا) مراعاة لمعناها.

وتنكير(شَيْءٍ) في قوله: (عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ)، وقوله: (عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ)، يدل على التقليل والتحقير، والمعنى: لم ينفعوك حتى ولو بشيء قليل، أما تنكيرها في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ... لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ)، فيدل على التعظيم؛ لأنه شيء كتبه الله، وما كتبه الله لعبده أو عليه لا يكون إلا عظيما جليلا.

واستخدام حرف الجر(على) في الموضعين، يدل على تمكنهم من وسائل النفع والضر، ومع ذلك، فلا يجدي ما يفعلون، ولن يكون منهم نفع ولا ضر إلا بما كتبه الله.

وفي الجملتين أسلوب قصر طريقه النفي والاستثناء، حيث قصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفتي النفع والضر على ما كتبه الله للعبد أو عليه، وقد جاء القصر بالنفي والاستثناء؛ تنزيلا للأمر الواضح المعلوم الذي لا ينكره المخاطب ولا يشك فيه منزلة الأمر المجهول الذي يشك فيه وينكره، قال الإمام عبد القاهر:" وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئا هو من المعلوم الذي لا يُشك فيه قد جاء بالنفي؛ فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه"[٢]، وفي هذا القصر تأكيد واضح على أن الذي يملك النفع والضر هو الله وحده" لأن الذي تريد إثباته جملة القصر يصل إلى السامع مرتين، مرة بالمفهوم من النفي، ومرة بالمنطوق من الإثبات"[٣].

(١) السابق ص:٩٨.
(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص: ٣٣٣.
(٣) دراسات وتطبيقات في علم المعاني . يحيى محمد يحيى٢/١٣ . مطبعة الأمانة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

ومجيء النفي بـ (لَمْ) في الموضعين(لَمْ يَنْفَعُوكَ ..... لَمْ يَضُرُّوكَ)، يدل على أن النفع والضر مقطوع بنفيهما؛ "لأن المنفي بلم غير متوقع ثبوته"[(١)].

ولا يخفى الطباق في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (أَنْ يَنْفَعُوكَ ـ لَمْ يَنْفَعُوكَ)، وقوله: (أَنْ يَضُرُّوكَ ـ لَمْ يَضُرُّوكَ)، وهما من طباق السلب[(٢)]، وكذا بين (لَكَ) في قوله: (قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ)، و(عَلَيْكَ) في قوله: (قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ)؛" لأن (اللام) تشعر بالملكية المؤذنة بالانتفاع، و(على) تشعر بالعلو المشعر بالتحمل والثقل المؤذن بالتضرر، فصار تقابلهما كتقابل النفع والضر وهما ضدان"[(٣)]، والطباق له منزلة رفيعة في البلاغة العربية؛ لأنه يجمع بين المعاني المتضادة ويؤلف بينها في أسلوب واحد فيزداد المعنى جمالا، ورسوخا في الأذهان ، واستقرارا في العقول؛ لأن الضد أقرب خطورًا بالبال إذا ذكر ضده.

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ) مقابلة توضح المعنى وتؤكده، حيث قوبلت ثلاثة معان هي: (النفع ـ عدم النفع ـ لك)، بثلاثة معان أخرى هي: (الضر ـ عدم الضر ـ عليك).

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ـ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ) إيجاز بالحذف، لأن التقدير: كتبته الملائكة في اللوح المحفوظ بأمر الله تعالى، ولا شك أن الإيجاز هو الأنسب لحال الطفل في مقام النصح والإرشاد، والتعبير بالكتابة يدل على ثبوت الحكم ودوامه واستقراره، وهذا يؤكد على أن

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي٣٨٢/٤ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مكتبة دار التراث ـ مصر.

(٢) طباق السلب هو: أن يجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي، فيكون التقابل بين الإيجاب والسلب لا بين مدلولي الفعلين. ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي٤/٢٩٠ " ضمن شروح التلخيص".

(٣) مواهب الفتاح ٢٨٨/٤، ٢٨٩.

النفع والضر لا يكون إلا بأمر الله.

ويختم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ توجيهه لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: (رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) وهو"كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد، فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته، ورفعت الأقلام عنه، وطال عهده، فقد رفعت عنه الأقلام، وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفت الصحيفة التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها"[١].

وبناء الفعل للمفعول في قوله: (رُفِعَتْ) للعلم بالفاعل، وهو الله ـ عز وجل ـ ، وفيه اعتماد على ذهن المخاطب في تحديد الفاعل، فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما توجه لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بهذه النصائح ـ وهو طفل صغير ـ إلا لعلمه بما سيؤول إليه هذا الغلام من العلم والمعرفة.

وتعريف المسند إليه بـ (اللام) في (الْأَقْلَامُ ـ الصُّحُفُ)؛ للإشارة إلى أمر معهود، فكتابة ما قدره الله لعبده أو عليه أمر معهود ذهنيا عند الغلام، والكتابة لا تكون إلا بالأقلام، ولا يكون محلها إلا الصحف، وقد ذكر الخطيب القزويني: أن من أغراض تعريف المسند إليه باللام: الإشارة إلى معهود بينك وبين مخَاطَبِك [٢] " أي: إلى حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم أو المخاطب واحدا كان أو اثنين أو جماعة، يقال: عهدت فلانا إذا أدركته ولقيته، وذلك لتقدم ذكره صريحا أو كناية"[٣].

والوصل بين الجملتين في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)، للتوسط بين الكمالين، لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظا ومعنى مع وجود المناسبة التي تجمع بينهما في المعنى، ومن محسنات الوصل بينهما: مجيء الجملتين على نسق واحد، فالجملتان فعليتان، وفعلهما

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي . المجلد الثاني ص: ٥٧٣ . تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور . دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع . طبعة ثانية١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ص: ٤٧.

(٣) ينظر: شرح السعد على التلخيص ٣٢١/١ " ضمن شروح التلخيص".

مبني للمفعول، ونائب الفاعل فيهما جمع.

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) يشعرنا بانتهاء هذه النصائح النبوية لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ دون وجود فجوات بين كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تربك الطفل المخاطب، أو تشتت ذهنه، أو تعيق فهمه، والانتهاء من المواضع التي تستوجب على المتكلم أن يتأنق فيها" لأن الانتهاء آخر ما يفهمه السامع ويحفظه... فإن كان هذا الانتهاء مختارا حسنا تلقاه بغاية القبول.... وإلا كان الأمر على العكس، أي وإن لم يكن الانتهاء حسنا، مجَّهُ السامع وأعرض عنه"[(١)].

❁ ومما جاء في مقام التعليم والإرشاد: ما روي عن الْحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ"[(٢)].

ففي هذا الحديث يخبر الحسن[(٣)] بن علي ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ علمه كلمات يقولهن في الوتر، ومع أن الحسن ـ رضي الله عنهما ـ لم يكن سنه قد جاوز الثامنة يومئذ، إلا أن الدعاء الذي

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي٥٤٣/٤.

(٢) رواه الترمذي في أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في القنوت والوتر٣٢٨/٢، وأبو داود في كتاب الصلاة ـ باب القنوت في الوتر٩٠/٢ ينظر: سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ـ تحقيق : أحمد محمد شاكر. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي طبعة ثانية ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعس السجستاني الأزدي ـ إعداد وتعليق: عزت عُبيد الدعاس وعادل السيد ـ دار ابن حزم ـ بيروت١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٣) هو الحسن بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وريحانته، ولد في نصف شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل أربع، وقيل خمس، والأول أثبت، حدَّث عن جده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن أبيه، وأمه، واختلف في تاريخ وفاته، فقيل: مات مسموما سنة تسع وأربعين، وقيل سنة خمسين، وقيل : ثمان وخمسين. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني٥٣٤/٢ وما بعدها ـ تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور/ عبد السند حسن يمامة ـ ط: القاهرة١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ومعجم الصحابة لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي٨/٢ تحقيق: محمد الأمين الجكني. مكتبة دار البيان ـ الكويت.

علمه إياه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأرشده إليه، مليء بالمعاني الإيمانية التي جاءت بأفصح الألفاظ اللغوية وأرقى المعاني البلاغية، وأول ما علمه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا الطفل الصغير أن يقول في دعائه: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ)، و(اللَّهُمَّ) نداء لله ـ تعالى ـ مقصود منه الاستعانة به ـ جل جلاله ـ والالتجاء إليه، حذف منه حرف النداء، والتقدير: (يا أله)، وتقدير الحرف المحذوف بـ (يا) مع أنه يستخدم لنداء البعيد، ـ والله قريب من عباده كما قال سبحانه:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1] ـ له سر بلاغي هو: تنزيل البعد المعنوي منزلة البعد الحسي، فالله ـ جل جلاله ـ وإن كان قريبا من عباده إلا أنه بعيد في المنزلة والمكانة، ولا يستخدم هذا اللفظ(اللَّهُمَّ) إلا في نداء الله، والنحاة يرون أن الميم المشددة في آخره عوض عن حرف النداء المحذوف، ويشذ الجمع بينها وبين حرف النداء، قال ابن مالك في الألفية:

والأَكثَرُ " اللَّهُمَّ" بالتعويض *** وَشَذَّ " يَا اللَّهُمَّ" في قَرِيضِ[2]

والأمر في قوله: (اهْدِنِي) له معنى بلاغي يستفاد من السياق، هو الدعاء والتضرع إلى الله ـ جل جلاله ـ بطلب الهداية، وقد علمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتوجه إلى الله بهذا الدعاء؛ لأن طلب الهداية من الله ينبغي أن يكون من أهم ما يشغل المسلم؛ ليسير في حياته على نور من ربه، ويسلم من الآفات والشرور التي تبعده عن خالقه؛ ولذلك أوجب الله على عبده هذا الدعاء في كل صلاة يصليها.

وفي هذه الجملة إيجاز قصر، لأنها ـ على وجازتها ـ تضمنت كثيرا من المعاني، فهداية الله لعبده لها مراتب كثيرة لا يمكن حصرها.

وتتوالى جمل الدعاء، واحدة تلو الأخرى(وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ)، ففي الجملة

(١) سورة البقرة .الآية:١٨٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري على ألفية ابن مالك٣/ ٢٦٤، ٢٦٥ . نشر وتوزيع: دار التراث . القاهرة . الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

الأولى يعلمه أن يسأل الله العافية المطلقة، في الدين والدنيا والآخرة، وفي الجملة الثانية: علمه أن يتوسل إلى الله بأن ينعم عليه بنعمة الولاية التي تقتضي التوفيق والعناية والصبر عن كل ما يغضب الله، وفي الجملة الثالثة: علمه أن يسأل ربه البركة في كل ما أعطاه من العلم أو المال، أو العمر، أو الأهل، أو الذرية، بأن ينميه، ويسلمه من كل الآفات، وفي الجملة الرابعة: يعلمه أن يسأل اللَّه الوقاية من الشرور، والحفظ من البلايا والفتن، قال ابن علان:" معناه: قني شرَّ الفعل الذي قضيت به عليَّ، وشرَّ ما يقترنُ به من وسوسة الشيطان والهوى والنفس للإنسان، حتى يمنع ثوابه إن كان ابتلاءً، ويحمل على الاستمرار فيه إن كان معصية، أو يمنع كماله إن كان طاعة"[(١)].

وفي هذه الجمل إيجاز بحذف المتعلق في كل جملة ؛ لأن المعافاة لها ألوان كثيرة، وكذا الولاية والبركة والوقاية، ولا شك أن حذف المتعلق أبلغ من ذكره؛ لأنه يتيح للنفس أن تذهب في تقدير المحذوف كل مذهب، وهذا الحذف روعي فيه حال المخاطب الذي يحتاج إلى تركيز الفكرة وحصرها حتى يسهل عليه حفظها، كما روعي فيه مقام الدعاء والتضرع إلى الله جل جلاله.

والوصل بين هذه الجمل؛ للتوسط بين الكمالين، لاتفاقها في الإنشائية لفظا ومعنى، مع وجود المناسبة التي تجمع بينها في المعنى؛ حيث المقام مقام تضرع ودعاء لله تعالى، مع تناسب الجمل في الفعلية ونوع الفعل.

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ) محسن لفظي هو : رد العجز على الصدر[(٢)]،(اهْدِنِي ـ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي ـ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي ـ تَوَلَّيْتَ) "وفائدته: تقرير المعاني وتأكيدها؛ لأن اللفظ عندما يكرر أو يذكرُ مجانسا للآخر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر، كما أن هذا المحسن يجعل أول الكلام دالا على آخره، وآخره مرتبطًا بأوله وتلك هي البلاغة، فقد قال الخبراء بفن القول:

(١) الفتوحات الربانية على الأذكار النوّاوية لابن علان٢/٢٠٠.
(٢) عرفه الخطيب بقوله:" هو في النثر أن يُجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في أول الفقرة، والآخر في آخرهما". ينظر: الإيضاح ص:٣٩٩.

البلاغة أن يكون أول كلامك دالا على آخره، وآخره مرتبطًا بأوله"[١]، وما من شك في أن هذا اللون البلاغي في الحديث، روعي فيه المقام؛ فالمقام مقام تعليم وإرشاد لطفل صغير يحتاج إلى ألفاظ سلسة مترابطة؛ حتى يسهل عليه فهم ما يلقى إليه واستيعابه وحفظه.

أما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ)، فهو كالتعليل لما قبله، "إذ لا يعطي تلك الأمور المهمة إلا من كملت فيه حقائق القدرة، ولم يوجد منها شيء في غيره"[٢]، وعلى ذلك: فالفاء فيه تعليلية، ولكون الجملة تعليل لما سبقها، فقد فصلت عنها لشبه كمال الاتصال، ويجوز أن يكون الفصل بين هذه الجملة وما قبلها؛ لأن قوله: (وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ) جملة إنشائية لفظا ومعنى، وهذه الجملة خبرية لفظا ومعنى، فتم الفصل بينهما لكمال الانقطاع بلا إيهام، ولا تزاحم بين النكات البلاغية.

والتأكيد في الجملة ليس لمراعاة حال المخاطب؛ لأن المخاطب هو الله ـ جل جلاله ـ، وإنما جاء التأكيد هنا لمراعاة حال المتكلم الداعي، الذي يوقن بأن قضاء الله حق لا ريب فيه، وأنه لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه، وكثيرا ما ورد التأكيد في القرآن الكريم لمراعاة حال المتكلم وليس لمراعاة حال المخاطب، كقوله تعالى ـ حكاية عن أم مريم ـ :﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾[٣]، وكقوله تعالى ـ حكاية عن نوح عليه السلام ـ:﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾[٤].

أما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ) فمعناه: لا يطرق الذل والهوان في الدارين أحدًا واليته من عبادك، وما يطرقه من الحوادث الظاهرة والأمراض الباطنة ونحوها فهو وإن عدّه عوام الناس ذلا إلا أنه غاية الرفعة والعزة عند الله والعارفين به؛ ومن ثم وقع للأنبياء ـ عليهم

(١) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع . دكتور بسيوني فيود ص: ٣١٤،٣١٥ . مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة . طبعة ثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
(٢) السابق٢/٢٠٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية:٣٦.
(٤) سورة الشعراء، الآية:١١٧.

الصلاة والسلام ـ من البلاء ما لم يقع لغيرهم؛ زيادة في تشريفهم، وإعلامًا بعلو مقامهم[١].

والضمير في قوله: (وَإِنَّهُ)، ضمير الشأن، وهو من مؤكدات الجملة الاسمية، "ويقدم على الجملة؛ ليوحي بتعظيم الأمر في نفسه، والإطناب فيه، والبلاغيون يفضلون ذلك في مواضع التفخيم، والغرض منه: أن يتطلع السامع إلى معنى هذا الضمير، وينتظر تفسيرا له، فإذا جاءت الجملة بعده جاءت مفسرة، وذلك أبلغ وأوقع في النفس؛ لتطلعها إليه واستشرافها له"[٢]، "ولذلك قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار"[٣].

وفي رواية أبي داود: (وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ) ومفهوم هذه الجملة هو مفهوم ما قبلها؛ لأن المعنى: إذا عادى اللَّه ـ جل جلاله ـ أحدا من خلقه، فإنه لا يعز، وعلى ذلك تكون هذه الجملة تذييلا يؤكد ويقرر ما قبله[٤].

وبين الجملتين مقابلة بين (يَذِلُّ ـ يَعِزُّ ، وَالَيْتَ ـ عَادَيْتَ)، هذه المقابلة: تؤكد المعنى وتقرر أنه لم يبق إلا التسليم بكمال العزة لله، والتي بمقتضاها يعز من والاه الله، ويذل من عاداه.

والفصل بين الجملتين لكمال الاتصال؛ لأن الجملة الثانية منزلة من الجملة الأولى منزلة التوكيد المعنوي؛ فالجملتان وإن اختلف مضمونهما، إلا أن بينهما تلازما في المعنى؛ لأن الجملة الأولى تقرر أن من والاه الله لا يذل أبدًا، والجملة الثانية تؤكد أن من عاداه الله لا يعز أبدًا، فمنطوق الجملة

(١) الفتوحات الربانية ٢/٢٠٠.

(٢)معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ٤٦٨/٣ . ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، و: فن البلاغة . الدكتور عبد القادر حسين، ص: ٢٥٤، طبعة: عالم الكتب . مصر.

(٣) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، ص: ١٣٢.

(٤) التذييل هو: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، والمراد باشتمالها على معناها، إفادتها بفحواها لما هو مقصود من الأولى، وليس المراد إفادتها لنفس معنى الأولى بالمطابقة، وبهذا يمتاز التذييل عن التكرير؛ لأن دلالة الثانية على معنى الأولى في التكرير بالمطابقة لا بالفحوى، والمراد بالتأكيد هنا: التوكيد بالمعنى اللغوي وهو التقوية،ينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد٢٢٥/٣" ضمن شروح التلخيص".

الثانية مؤكد لمفهوم الجملة الأولى؛ ولذا وجب الفصل بينهما.

وأما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ)، فهو ثناء على الله ـ جل جلاله ـ ببركاته التي لا تحصى على عباده، ولأن المقام مقام ثناء على الله ـ تعالى ـ ناسب الإتيان فيه بضمير الجمع في قوله: (رَبَّنَا) " إما إشارة إلى العجز عن قيام المرء بمفرده عن قيام حق ثنائه، وإما إشارة إلى أن جميع أجزائه مربوبة إلى الله ـ تعالى ـ، وإما تعاظمًا بهذه الإضافة الشريفة إلى الربوبية"[(١)].

وفي قوله: (تَعَالَيْتَ) تنزيه وتقديس لله تعالى؛ لأن من كانت هذه صفته، كان هو القادر على إجابة دعاء من دعاه من عباده، وفي ختم الدعاء بهذه الجملة(تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ)، نلحظ لونا من ألوان البديع المعنوي، هو تشابه الأطراف[(٢)]؛ لأن بداية الحديث دعاء لله ورجاء، وفي هذه الجملة سبب وعلة لقبول الدعاء وتحقيق الرجاء، وبذلك خُتِم الحديثُ بما يناسب أوله في المعنى.

وفي الحديث لون آخر من ألوان البديع اللفظي، هو السجع، وهذا اللون سرى ـ بحسن لفظه وحلاوة جرسه وجميل إيقاعه ـ في جميع جمل الحديث دون تكلف؛ لأن المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه؛ لما له من دور بارز في سهولة الذكر، وتيسير حفظه، ورسوخه في نفس الطفل، يقول الإمام عبد القاهر: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا"[(٣)].

❁ ومن التعليم والإرشاد في جانب العبادات، ما روي عن أنس[(٤)] بن

(١) الفتوحات الربانية ٢٠١/٢.

(٢) هو: أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى" ينظر: الإيضاح للخطيب القزويني، ص:٣٥٧.

(٣) أسرار البلاغة، ص: ١١ . تحقيق: محمود محمد شاكر. دار المدني بجدة.

(٤)هو:أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار، وأمه أم سليم بنت مِلْحَان، كان يقول . رضي الله عنه : قدم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثُثْنَنِي على خدمة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، واختلف في تاريخ وفاته، فقيل: مات سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وهو آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر: سير أعلام النبلاء . الإمام شمس الدين الذهبي ٣٩٥/٣ وما بعدها.

مالك ـ رضي لله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " يَا بُنيَّ، إِيَّاكَ والالتِفَاتَ فِي الصَّلاةِ، فَإِنَّ الالتفَاتَ فِي الصَّلاةِ هَلَكَةٌ، فَإِن كَانَ لا بُدَّ فَفِي التَّطوِّعِ، لا فِي الفَرِيضَةِ"(١).

ففي هذا الحديث خطاب نبوي، وتوجيه تربوي من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ إلى عدم الالتفات في صلاة الفريضة؛ ذلك لأن الصلاة هي الصلة بين العبد وربه، ويتعين على المسلم أن يقبل عليها بنفس راغبة في القرب من الله ـ تعالى ـ والبعد عما سواه؛ ولأن هذا التوجيه النبوي يغرس في قلب الطفل أهمية العبادة، ودورها في تقوية الإيمان، وتعميقه في النفس، فقد بدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ توجيهه للطفل بألفاظ تعينه على فهم توجيهه وإرشاده، حيث ناداه بحرف النداء الموضوع للبعيد(يَا)؛ ليخرج الطفل من غفلته، وينبهه لفهم ما بعد النداء من توجيه وإرشاد، ثم خاطبه ـ بالتصغير والإضافة إلى ياء المتكلم ـ (بُنيَّ)، وهي كلمة تشعر بالحنان والرحمة والحرص على ما ينفعه في دنياه وآخرته، ونداء الطفل بـ (يَا) وخطابه بكلمة(بُنيَّ) يعد تهيئة ذهنية ونفسية روعي فيها حال الطفل الصغير ومقام التعليم والإرشاد.

وبعد هذه التهيئة الذهنية والنفسية جاء التحذير من الالتفات في الصلاة بكلمة(إِيَّاكَ) والتحذير هو:" تنبيه المخاطب على أمر مكروه؛ ليجتنبه"(٢)، وهو أسلوب يخلو من التهديد والوعيد ويناسب مقام النصح والإرشاد، كما أنه أسلوب يدعو إلى إعمال العقل والتفكير في المحذر منه والاستعداد لتجنبه؛ ولذلك استخدمه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تحذير الطفل دون النهي الصريح كقوله مثلًا :(لا تلتفت في الصلاة)، وجاء هذا التحذير مُفسرًا بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (فَإِنَّ الالتفَاتَ فِي الصَّلاةِ هَلَكَةٌ)؛ لما للتفسير والتعليل من أهمية في إقناع المخاطب ـ سيما إذا كان طفلا صغيرا. فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعزز ـ بهذه الجملة التفسيرية ـ من ثقة الطفل في نفسه، ويبني

(١) رواه الترمذي في السنن٢/٤٨٤.
(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري٤/٧٥ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.

شخصيته؛ حتى لا ينفِّذ ما يُؤمرُ به أو يُنهى عنه دون سبب جليٍّ واضح.

وفي الجملة التفسيرية ـ فَإِنَّ الالتفَاتَ فِي الصَّلاةِ هَلَكَةٌ ـ إظهار في مقام الإضمار، حيث أُظهر المسند إليه(الالتفَاتَ فِي الصَّلاةِ) مع تقدم ذكره، والغرض من ذلك هو زيادة التقرير والتمكين، وهو غرض يلجأ إليه البليغ إذا كان المقام يقتضي اعتناءً بالمسند إليه، كما أنه من الأساليب التي تؤتي ثمارها المرجوة في التعليم والإرشاد، والفصل بين الجملة التفسيرية وما قبلها لشبه كمال الاتصال، لأن الجملة الأولى (إياك والالتفات في الصلاة) تثير في ذهن الطفل سؤالًا مؤداه: ولم لا ألتفت؟ فجاء الجواب : (فَإِنَّ الالتفَاتَ فِي الصَّلاةِ هَلَكَةٌ).

وقد نزل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطفل المخاطب ـ وهو خالي الذهن ـ منزلة المتردد الذي يحسن أن يؤكد له الكلام بمؤكد أو مؤكدين فقال: (فَإِنَّ الالتفَاتَ فِي الصَّلاةِ هَلَكَةٌ)، حيث تضمنت الجملة لونين من ألوان التأكيد هما: الإطناب بالتكرار ودخول (إنَّ) على الجملة المكررة؛ لأن المخاطب طفل صغيرٌ وقد يقع في ظنه أن الالتفات في الصلاة من الأمور العادية، وليس الأمر كذلك بل إنه هلكة .

وجاءت كلمة (هَلَكَةٌ) منكرة؛ للدلالة على تعظيم أمرها وأنها هلكةٌ عظيمة يجب التحذير منها ومن الوقوع فيها؛ فقد روي عن أبى ذر ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:" لا يزَالُ اللَّهُ ـ عز وجل ـ مقبلا على العبْدِ وهو في صلاتِهِ ما لم يلتَفِتْ، فإذا التفَتَ انصرَفَ عنهُ"[(١)].

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (فَإِن كَانَ لا بُدَّ فَفِي التَّطوِّعِ، لا فِي الفَرِيضَةِ) إيجاز حذف، حيث حذف جواب الشرط، والتقدير: فإن كان لا بد من الالتفات فالتفت في صلاة التطوع لا في الفريضة، وفي هذا الإيجاز مراعاة لحال الطفل الصغير ومراعاة لمقام النصح والإرشاد الذي يناسبه الإطناب حينا والإيجاز حينا آخر.

(١) سنن أبي داود(مرجع سابق) . كتاب الصلاة . باب الالتفات في الصلاة ٣٩٢/١.

❁ ومن الأحاديث التي وردت في مقام التعليم والإرشاد: ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "أخذَ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقةِ فجعلها في فيهِ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : كِخْ، كِخْ. ارْمِ بِهَا. أما عَلِمْتَ أنَّا لا نأكل الصدقة؟"(١).

وفي هذا الحديث يُقدم طفل صغير. هو الحسن بن علي رضي الله عنهما ـ على تناول تمرة من تمر الصدقة، غير متصور لجواز أكلها أو عدم جوازه، فيخاطبه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معلمًا ومُرشدًا(كِخْ، كِخْ)، وهي كلمة تقال لزجر الصبي عند تناول شيءٍ أو عند التقزز من شيء"(٢).

وفي تكرار هذه الكلمة(كِخْ) لون من ألوان الإطناب هو التكرير، والغرض منه: التأكيد على إنذار الطفل الصغير وتخويفه من إتيان هذا الفعل، وهذا اللون من الإطناب مناسب لحال الطفل؛ لأن المقام مقام إرشاد وتعليم وهو من المقامات التي يناسبها الإطناب بالتكرير، كما أن الكلمة مناسبة لعمر الطفل ومتوافقة مع قدراته العقلية؛ ولذلك قال محمد القاري:" وفيه مخاطبة من لا تمييز له، كما في قوله:(كِخْ، كِخْ) إذ لا يستعمل إلا في غير المميز"(٣) وهذا الأسلوب النبوي يرشدنا إلى أنه لا مانع من زجر الصبي، وتنبيهه إلى المحظورات الشرعية بأسلوب رحيم وخطاب جميل يتناسب مع شخصية الطفل وحجم الخطأ الذي وقع فيه.

ويأمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطفل الصغير أن يتخلص من هذه التمرة فيقول: (ارْمِ بِهَا) والأمر برمي التمرة جاء هنا على سبيل الإلزام المؤكد، فقد أُكد هذا الأمر بزيادة الباء الداخلة على الضمير، لأن الفعل يصل إليه دونها، وعلى ذلك فالعبارة تحمل جانبا من الانفعال لا يصوره كلمة غيرها كأن يقول له مثلًا: ارمها أو ألقها.

(١) رواه مسلم في صحيحه حديث رقم(١٠٦٩) ص:٥٣٨ . كتاب الزكاة ـ باب تحريم الزكاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم

(٢) القاموس المحيط للفيروزابادي١/٢٦٦ فصل الكاف واللام . باب الخاء.

(٣) مرقاة المفاتيح للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري . تحقيق الشيخ جمال عيتاني ٢٨٩/٤ دار الكتب العلمية بيروت . لبنان . طبعة أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

ثم يربط النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الزجر بالسبب الداعي إليه فيقول له: (أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نأكلُ الصدقة؟)، وهو توجيه شديد اللهجة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ حتى لا يتكرر الفعل من الصبي بعد هذا التوجيه، فأفواه آل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنقى من أن تلوك الصدقة، وأكفُّهم العلية أزكى من أن تكون هي السفلى، فهذا التوجيه الشديد تعليل للزجر المؤكد بتكرار اللفظ(كِخْ كِخْ) والأمر برمي التمرة؛ حتى يتقرر الأمر في ذهن الطفل المخاطب رضي الله عنه.

"ودخول (أَمَا) على الفعل (عَلِمْتَ) في هذا التوجيه ؛ لتقرير المضمون بإنكار ما لا ينبغي على الطفل عمله"[1] والاستفهام في هذه الجملة لا يُقصد به المعنى المتعارف عليه ، وهو طلب الفهم، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يطلب من الطفل إجابة على علمه أو عدم علمه بجواز الأكل من تمر الصدقة أو عدم جوازه، وإنما المقصود من هذا الاستفهام ـ كما هو واضح من السياق ـ الإنكار التوبيخي، والمعنى: لا ينبغي لنا أن نأكل من الصدقة، وهذا خاص برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآل بيته الأطهار، وُيْفهَمُ هذا المعنى من أسلوب القصر غير الاصطلاحي في قوله (أنَّا لا نأكل الصدقة)، أي: أن غيرنا يجوز له الأكل منها، ولا شك أن أسلوب الاستفهام هنا أبلغ في الزجر من النهي؛ لأنه يدعو الطفل إلى التأمل وإعمال الفكر ليتوصل إلى الإجابة بنفسه.

ولنا أن نتأمل التوجيه النبوي في هذا الحديث الشريف الذي يحذر الآباء والأمهات ـ قبل الأطفال ـ من الاستهانة بما يبدو خطرا صغيرا، لكنه يحمل في أحشائه مقومات النمو التي تجعل منه مهلكة مستقبلية تتوعد الأمة، وتهدد مستقبلها، فالخطورة التي يصورها الحديث نشأت بسبب تمرة ما كان أهونها ـ لو أكلها الطفل ـ إلا أن المبادئ لا تقبل التساهل بحال من الأحوال، فما أجدرنا أن نتخذ من هذا الحزم النبوي منهجا تربويا، ننشئ به جيلا صالحا يفرق بين

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية . دكتور عز الدين السيد ، ص:١٢٤ ط: دار اقرأ بيروت.

الحلال والحرام ويلتزم حدود الله ويدرك أن معظم النار من مستصغر الشرر!

❁ ومن الأحاديث الواردة في مقام التعليم والإرشاد: حديث يُظهرُ لنا احترام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لشخصية الطفل واحترام حقوقه، وهو أمر يغرس في نفوس الأطفال القيم والمبادئ والقدرة على اتخاذ القرار وحرية التعبير عن الرأي، فقد روي عن سهل بن سعد[١] ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ؟ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ"[٢].

ففي هذا الحديث الشريف يخبرنا سهل بن سعد ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُتي بقدح فشرب منه وفي مجلسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأشياخ من الصحابة رضوان الله عليهم وعن يمينه طفل صغير، "هو الفضل بن عباس، وقيل أخوه عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو الصواب"[٣].

فيخاطبه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: (يَا غُلَامُ) مستخدما حرف النداء الموضوع للبعيد(يا) تنزيلا له منزلة البعيد أو الغافل الساهي؛ ليتنبه إلى الخطاب الآتي بعد النداء ويدرك مغزاه، وفي حضور ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مجالس الأشياخ تأكيد على أهمية التفاعل الاجتماعي للأطفال، وأن التربية النبوية حرصت أشد الحرص على تنمية هذا الجانب عندهم؛ لأن وجود

(١)سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة ، أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي كان أبوه من الصحابة الذين توفوا في حياة النبي . صلى الله عليه وسلم . وكان يقول رضي الله عنه: شهدت المتلاعنين عند رسول الله وأنا ابن خمس عشرة سنة روى عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عدة أحاديث وحدث عنه ابنه العباس ، وأبو حازم الأعرج ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب ، ويحيى بن ميمون الحضرمي، وغيرهم وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة وكان من أبناء المائة توفي سنة إحدى وتسعين من الهجرة. ينظر سير أعلام النبلاء . الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٤٢٢/٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٣٦٠/١ تحقيق: محمود الأرناؤوط . ط: دار ابن كثير. دمشق . بيروت . طبعة أولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٢) صحيح البخاري . كتاب المساقاة . باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم . حديث رقم (٢٣٥١) ١٦٢/٢.

(٣) فتح الباري (شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني ٣٩/٥.

الطفل في مجتمع الكبار ينمي فيه مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات.

وقد استخدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أسلوب الاستفهام في قوله :(أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ؟)، وهو استفهام حقيقي يهدف إلى زيادة ثقة الطفل بنفسه، وتخليصه من الشعور بالنقص والضعف والخوف، ويحثه على الشجاعة في إبداء الرأي، والتعبير عن أفكاره ومشاعره دون خشية من الناس.

وفي استئذان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ تأليف لقلوب الأشياخ، وإعلام بودهم وتوقيرهم، كما أن في هذا الاستئذان دليلًا على أن الأحق بالشراب هو الأيمن، وهو أمر متعارف عليه، وأكدته السنة النبوية المطهرة، وفيه احترام لصاحب الحق ـ رغم صغر سنه وعدم أفضليته؛ لأن الطفل في مثل هذا العمر أحوج ما يكون إلى التقدير والقبول واستشعار المكانة والاستقلالية؛ ولذا فهو في المرحلة الأخيرة من طفولته يزداد احتكاكه بالكبار، مع قلة الاعتماد عليهم، وتنمو فرديته واستقلاليته، ويزداد لديه الشعور بالمسؤولية[١].

والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدرك أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لا يؤثر بفضله أحدا؛ لذلك وجه له الخطاب بأسلوب الاستفهام دون فعل الأمر، كأن يقول له ـ مثلًا ـ ائذن لي، فابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بفكره الثاقب ونظرته الصائبة ـ رغم صغر سنه ـ لم يكن ليؤثر بنصيبه من البركة في سؤر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحدا؛ ولذلك كان جوابه: (مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ)، وأقر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جواب الغلام الصغير فأعطاه الشراب دون قمع أو قهر، ولو عقدنا مقارنة بين سلوك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الغلام الصغير في هذا الموقف، وسلوك بعض الآباء والمربين في مثل هذا الموقف، لوجدنا الكثير من الفروق، بدعوى أن هذا التصرف مخالف للعادات والتقاليد. فما أحوجنا إلى تطبيق سنة

(١) ينظر: علم نفس النمو " الطفولة والمراهقة" د. حامد عبد السلام زهران ص: ٣٧٥. ٣٧٦ طبعة دار المعارف ١٩٨٦م.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تربية الأبناء!

❁ ومن بلاغته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في مقام التعليم والإرشاد ما رواه الصحابي الجليل: رافع بن عمرو الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت وأنا غلامٌ أرمي نخلًا للأنصارِ، فَأُتِيَ النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيل: إن هاهنا غلامًا يرمي نخلنا. فأُتيَ بي إلى النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال:" يا غلامُ، لمَ ترمي النَّخلَ؟" قال: قلت: آكل. قال:" فلا ترمِ النخلَ، وكُلْ ما يسقُطُ في أسافِلِها" ثم مسح رأسي وقال:"اللهم أشبِعْ بطنَهُ"(١)

في هذا الحديث الشريف، يخبرنا الصحابي الجليل رافع(٢) بن عمرو الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أنه كان في صغره يرمي نخل الأنصار، فشكاه الأنصار إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجيء به لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ودار حوارٌ بين معلم الإنسانية ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين هذا الطفل الصغير الذي يتسم بالسلوك العدواني، استطاع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلاله امتصاص عدوانية هذا الطفل، وتهيئته لتلقي النصح والإرشاد، وقد بدأ هذا الحوار التربوي بنداء مستخدم فيه حرف النداء الموضوع للبعيد(يا غلام) وفي النداء بالياء،. والطفل قريب من رسول الله وماثل بين يديه ـ تنزيل لهذا الغلام منزلة البعيد؛ لغفلته، وانغماسه في مغريات الطفولة مع اعتدائه على حقوق غيره؛ لذلك كان النداء بالحرف الموضوع للبعيد هو الأجدر بهذا الموقع؛ لأنه الأقدر على تنبيهه للتوجيهات النبوية الواردة بعد النداء.

وبعد النداء يأتي الاستفهام (لمَ ترمي النَّخلَ؟)، وتتجلى الحكمة النبوية والبلاغة العالية في استخدام هذا الأسلوب الإنشائي، والعدول عن الأسلوب

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده . مسند البصريين حديث رقم (٢٠٣٤٣) ٤٥٢/٣٣ تحقيق: شعيب الأرنؤوط . عادل مرشد . جمال عبد اللطيف ط: مؤسسة الرسالة طبعة أولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٢) هو الصحابي الجليل رافع بن عمرو بن مخدج، وقيل: مَجَدّع بن حذيم بن الحارث...، بن كنانة الكناني الضمري، وهو أخو الحكم بن عمرو، وليسا من غفار، وإنما هما من نُعَيْلة أخي غفار، إلا أنهما نسبا إلى غفار، حدث عنه عبد الله بن الصامت وغيره، وخرج له مسلم، وأبو داود، وابن ماجة، مات بالبصرة سنة خمسين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة . عز الدين بن الأثير٢/٢٣٨. سير أعلام النبلاء . شمس الدين الذهبي٢/٤٧٨،٤٧٧.

الخبري؛ لأن أسلوب الاستفهام يتضمن ـ غالبا ـ حوارًا يحترم شخصية الطفل المخاطب، ويعطيه الفرصة كاملة للتعبير عما بداخله والدفاع عن نفسه، وتبرير أفعاله، كما أن أسلوب الاستفهام يوفر للطفل جو الطمأنينة والأمن خاصة وأنه جيء به مقبوضا عليه ماثلًا أمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد بهذا الاستفهام اكتشاف الدافع الحقيقي وراء هذا السلوك العدواني، لذلك فهو استفهام حقيقي يوفر للطفل جو الطمأنينة والأمن، ويعطيه الفرصة للدفاع عن نفسه.

وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لِمَ ترمي النَّخلَ؟) إيجاز بالحذف يناسب المقام؛ لأن المقصود: لم ترمي ثمر النخل وليس النخل.

ولقد أحس الطفل الصغير ـ بفطرته ـ المعاني الجميلة في خطاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولطف تعامله معه؛ فأجاب بأسلوب بسيط موجز(آكل)، أي: لآكله لا لشيء آخر، فهو يرى أن الأكل حق لكل إنسان، لكنه ـ لصغر سنه ـ لا يميز بين الحلال منه والحرام؛ ولذلك وجه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطفل للسلوك الأمثل الذي لا عدوان فيه على حقوق الآخرين وممتلكاتهم، فقال:(فلا ترمِ النخلَ، وكُلْ ما يسقُطُ في أسافِلِها)، وهما جملتان إنشائيتان، الأولى منهما مصدرة بنهي، والثانية مصدرة بفعل الأمر، والمعنى البلاغي لهما هو النصح والإرشاد، ويتولد من النصح والإرشاد في الأمر معنى بلاغيا آخر هو الإباحة.

والوصل بين الجملتين؛ للتوسط بين الكمالين، أي التوسط بين حالتي كمال الانقطاع، وكمال الاتصال؛ وذلك لاتفاق الجملتين في الإنشائية لفظا ومعنى، مع وجود الجامع بينهما، وهو اتحاد المسند إليه فيهما، كما أن موضوعهما واحد، وهو التوجيه إلى السلوك الأمثل، والعطف بين الجملتين يشعر بوجوب مراعاة المقصود منهما.

ونلحظ هنا أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتبع نهي الطفل عن رمي النخل بأمره بالأكل مما يسقط في أسافلها، وهذا يعني أنه يجب على المربين ـ عند النهي عن سلوك خاطئ ـ توفير البدائل لهذا السلوك، بشرط أن

تكون من المباحات الشرعية؛ فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أباح للطفل أن يأكل مما يسقط من ثمار النخل " للاضطرار، وإلا لم يجز له أن يأكل مما سقط أيضًا، لأنه مال الغير"(١).

ثم يخبر الطفل الصغير أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسح على رأسه، ومسح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأس الطفل الصغير فيه دلالة على رحمته به وشفقته عليه فهو طفل صغير لا حول له ولا قوة.

ويختم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثه مع هذا الطفل بالدعاء له فيقول:(اللهم أشبِعْ بطنَهُ)؛ ذلك لأن الدعاء يُشعر الطفل بالسرور، ويشجعه على التخلق بما دُعي له، وفيه دلالة على محبة الداعي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحرصه على هداية من يدعو له، فما أحوجنا إلى الاقتداء برسول الله في تربية أبنائنا!

❁ ومن بلاغته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في الجانب الأخلاقي، ما روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّم يَكُن بَرَكَةً عَلَيكَ وَعَلَى أَهلِ بَيْتِكَ"(٢).

ففي هذا الحديث توجيه نبوي لأنس ـ رضي الله عنه ـ بالسلام على أهله عند الدخول عليهم؛ لما في ذلك من الخير والبركة عليه وعلى أهله، وقد بدأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطابه للطفل بقوله: (يَا بُنَيَّ)، فناداه بحرف النداء الموضوع للبعيد؛ لينبهه إلى ما بعد النداء من توجيه وإرشاد، وكلمة (بُنَيَّ) بالتصغير فيها دلالة على الشفقة والرحمة والملاطفة لهذا الطفل الصغير؛ فأنس ـ رضي الله عنه ـ خادم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكنه خاطبه بقوله:(يَا بُنَيَّ)؛ ليلاطفه، ويدخل السرور على قلبه، وليشعره بمعاني الأبوة في الكلام المقبل على تلقيه والذي يفيض بحب الخير له، وفرق كبير بين أن تجذب انتباه طفل بعبارة رقيقة تجعله يلتفت إليك بوجهه وعقله فينفذ ما

(١)مرقاة المفاتيح للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري ١٤١/٦.
(٢) رواه الترمذي ـ كتاب الاستئذان ـ باب ما جاء في الاستئذان إذا دخل بيته ٥٩/٥.

تأمره به أو تنهاه عنه، وبين أن تجذب انتباهه بعبارة زاجرة تجعل جل همه التفكير فيما يخلصه من الأمر أو النهي الموجه إليه، فكلمة (يَا بُنَيَّ) هنا تبرز البلاغة النبوية في أسمى معانيها؛ لأنها راعت حال الطفل المخاطب على أكمل وجه وأوفاه، كما راعت مقام نصحه وإرشاده.

وبعد هذه التهيئة الذهنية والنفسية للطفل المخاطب، جاء التوجيه النبوي (إِذَا دَخَلتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّم)، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمره بأن يسلم على أهله عند الدخول إليهم؛ لأن ذلك أدعى لحصول البركة عليه وعلى أهله، ولا يخفى إيجاز الحذف في العبارة؛ لأن أصل الكلام: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، فحذف الجار والمجرور لدلالة ما قبله عليه.

ولم يكتف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأمر المجرد بل أتبعه بتعليله؛ وذلك ليربط الأمر بالسبب الداعي إليه، فقال: (يَكُن بَرَكَةً عَلَيكَ وَعَلَى أَهلِ بَيْتِكَ)، فقوله: (يَكُن بَرَكَةً) "جملة مستأنفة متضمنة للعلة، أي فإنه يكون أي السلام سبب زيادة بركة وكثرة خير ورحمة"[(١)]؛ ولذلك فصلت هذه الجملة عما قبلها لشبه كمال الاتصال؛ فهي بيان لسبب الأمر بالسلام.

وتنكير البركة هنا يدل على كثرتها وعمومها، أي: بركة عظيمة شاملة؛ ولذلك فلا ينبغي للمسلم أن يفوت هذه البركة على نفسه وعلى أهل بيته في كل مرة يدخل فيها.

❁ ومن الأحاديث الواردة في مقام التعليم والإرشاد، ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة المزدلفة، أُغَيْلِمَة بنى عبد المطلب على حُمُرات، فجعل يلطح أفخاذنا ويقول:" أُبَيْنَيَّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس"[(٢)].

اصطحاب الأطفال إلى مواطن العبادة ـ كالحج وغيره ـ منهج نبوي وأسلوب تربوي ينمي في الطفل جوانب متعددة من شخصيته، ويعوده على العبادة وتحملها والصبر عليها، يفهم ذلك من قول ابن عباس ـ رضي الله

(١) تحفة الأحوذي ـ أبواب الاستئذان والآداب ـ باب في التسليم إذا دخل بيته ٢٧٨/٧.
(٢) رواه أبو داود في السنن ـ كتاب المناسك ـ باب التعجيل من جمع ٣٢٩/٢.

عنهما ـ :" قدمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة المزدلفة..." ففي هذا الحديث يذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدمه على حمرات[١] مع أغيلمة[٢] بني عبد المطلب، إلى منى ليلة المزدلفة، فجعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلطح[٣] أفخاذهم ويقول:" أُبَيْنَيَّ[٤] لا ترموا حتى تطلع الشمس"، ولم تذكر كتب الحديث من هم الأغيلمة الذين رافقوا ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، لكن سياق الحديث، يدل على أنهم أطفال، كما يوضح ذلك معنى (أغيلمة)، وقد بدأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثه مع هؤلاء الأطفال بالنداء بالهمزة التي جاءت على أصل استعمالها اللغوي وهو نداء القريب، فالأطفال المخاطبون قريبون من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدلالة قوله: (يلطح أفخاذنا)، وثمة ملاحظة في هذا الأسلوب النبوي، وهي أن النداء في هذا الحديث لم يكن بحرف النداء الموضوع للبعيد لتنبيههم وإحضار أذهانهم لسماع كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفهمه واستيعابه، كما هو الحال في أغلب حديثه مع الأطفال، ولعل السر في ذلك، هو أن النداء بالهمزة فيه نوع من التلطف المناسب لكلمة(بَيْنَيَّ)، كما أن شعيرة الحج من الشعائر التي تقتضي حضور أذهان الأطفال وانتباههم، فالمكان كله يعج بالذكر والتلبية، فلا حاجة إذًا للنداء بالياء الذي لم تتوافر دواعيه، فتأمل بلاغته صلى الله عليه وسلم.

(١)حُمُرَات جمع حُمُر وحُمُر جمع حِمَار وهو العَيْر الأهلي والوحشي، فكلمة حُمُرات هي جمع الجمع، كجُزُرات وطُرُقات، ينظر: لسان العرب لابن منظور المجلد الثاني ص ٩٩٢ باب الحاء. طبعة دار المعارف.

(٢)(أُغَيْلِمة) تصغير غلمة وهم الصبيان، وهو تصغير شاذ؛ لأن قياس غلمة - بكسر الغين - غليمة، وقيل: هو تصغير أغلمة جمع غلام قياسا، وإن لم يستعمل، والمستعمل غلمة في القلة، والغلمان في الكثرة، ونصبه على الاختصاص، أو على إضمار أعني، أو عطف بيان من ضمير قدمنا، ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥٢٦/٥.

(٣)اللطح: الضرب بباطن الكف ليس بالشديد. ينظر: مقاييس لابن فارس بن زكريا ٢٥١/٥.

(٤)(أُبَيْنَيَّ)بضم الهمزة، وفتح الموحدة، وسكون الياء، وكسر النون، وفتح الياء المشددة، ويكسر، تصغير ابن، مضاف إلى النفس، أو بعد جمعه جمع السلامة، إلا أنه خلاف القياس؛ لأن همزته همزة وصل، والقاعدة أن التصغير يرد الشيء إلى أصله مثل الجمع، ومنه قوله تعالى:" المال والبنون" فأصل ابن بنو، فهو من الأسماء المحذوفة العجز، فالظاهر أن يقال : بني إلا أنه لما كان يلتبس بالمفرد زيدت الهمزة. ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥٢٦/٥.

ولقد كان خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع هؤلاء الأطفال خطابا لطيفا ومحببا إلى نفوسهم؛ فقد صغر كلمة(بني) فقال: (أُبَيْنَيَّ) "وهو تصغير(بنيَّ) جمع (ابن) مضافًا إلى النفس"[١]، وهو يدل هنا على التدليل والتلطف، فمن معاني التصغير:" الرحمة والإشفاق والعطف، كقولهم للرجل يا بُنَيَّ، ويا أُخَيَّ، وقولهم للمرأة: يا أُخَيَّة، لا يُقصد في هذا قصد التصغير والتحقير، وإنما يراد به الرحمة والمحبة"[٢]، والإضافة تشعر بحنان الأبوة، الذي يقتضي الحرص على مصالح الأبناء، وتعليمهم أمور دينهم، وفي ذلك تمام المراعاة للمقام، فهو مقام نصح وإرشاد في أداء مناسك الحج وما يصحبها من مشقة وتعب، فكأن التدليل والتلطف مواساة لهؤلاء الصغار، وإدخالًا للفرح والسرور على أنفسهم الذي ينسيهم التعب والمشقة.

وقد اقترن هذا الخطاب التربوي للأطفال باللمسة الحانية الدالة على التلطف والمحبة؛ فقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطبهم ويلطح أفخاذهم، وما من شك في أن اقتران الخطاب النبوي بتلك اللمسات الجميلة يغرس في نفوسهم محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإقبال عليه، والانتفاع بتوجيهاته التربوية الحكيمة.

ويأتي التوجيه النبوي في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:(لا ترموا الجمرة....)، وهو نهي عن رمي الجمرة قبل طلوع الشمس، ونلحظ هنا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صرح بالمفعول، والتصريح بالمفعول هنا هو الأنسب والأليق بمقام تعليم مناسك الحج؛ لأنه يحدد للصغار مكان وقوع الفعل.

❁ ومن بلاغته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطابه للطفل في مقام التعليم: ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: أتيتُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من آخرِ الليلِ، فصليتُ خلفهُ، فأخذ بيدي، فجرني،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ص: ٢٣. طبعة دار ابن الجوزي طبعة أولى ١٤٢١هـ.

(٢) اتفاق المباني وافتراق المعاني. سليمان بن بنين الدقيقي النحوي ص: ١٤٥ تحقيق: الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر. دار عمان للنشر والتوزيع. طبعة أولى ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

فجعلني حذاءَهُ، فلما أقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صلاتهِ، خنست، فصلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فلما انصرف قال لي: " ما شأني أجعلك حذائي فتخنسُ؟!"، فقلت: يا رسول الله، أوينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبتهُ، فدعا الله أن يزيدني علما وفهما"[(١)].

ففي هذا الحديث يخبر الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لصلاة الليل، صلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ خلفه، فلم ينهه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يدفعه، بل قربه منه وجعله حذاءه، فما كان من هذا الطفل إلا أن تراجع عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كي لا يكون مساويا له، فلما قُضِيت الصلاة توجه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هذا الطفل بقوله: (ما شأني أجعلك حذائي فتخنسُ؟)، وهو استفهام خرج من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي هو التعجب من فعل هذا الصبي الصغير، ويحمل الاستفهام كذلك معنى الإنكار لمخالفته أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوقوف حذاءه، وهو أمر فعلي؛ لعدم جواز الكلام في الصلاة، وفي هذا الاستفهام تتجلى بلاغة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اختياره الأسلوب المناسب للموقف والمقام؛ فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يستخدم الأسلوب الخبري الجارح للطفل أو المحرج له، كأن يقول له: أخطأت يا غلام أو أسأت، وإنما خاطبه بأسلوب الاستفهام ؛ ليدافع الطفل عن نفسه، ويبرر تصرفه في الأمر المُستفهَمِ عنه، وهذا مما يؤكد احترام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لشخصية الطفل، ومنحه الحرية الكاملة في الدفاع عن نفسه.

فالأسلوب الإنشائي هنا يربي في الطفل الثقة في نفسه، والاحترام والتوقير لمعلمه ومرشده وهذا جانب تربوي ينبغي على المربين مراعاته في

(١) مسند الإمام أحمد ١٧٨/٥ ط: مؤسسة الرسالة(مرجع سابق).

جانب تعليمهم للأطفال.

وتبرير ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لفعله يدلل على فقهه وفهمه؛ فقد قال: (أوينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟) فتبريره يدلل على أنه ـ رضي الله عنهما ـ كان في غاية التقدير لمقام النبوة؛ ولذلك ظهر حسن الجواب وأثره على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ حيث أعجبه الرد، فكافأه بدعائه له بأن يزيده الله علما وفهما، فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أطلق العنان لابن عباس في التعبير عن رأيه حين استخدم الأسلوب الإنشائي في خطابه، ولم يكبت جوابه بل وكافأه عليه، وهذا يعلمنا أن مكافأة الطفل من الأساليب التربوية التي تعزز من شخصية الطفل وتنميها.

المبحث الثاني

من بلاغة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه مع الأطفال في مقام المداعبة

المزاح والمداعبة شيءٌ مُحَبب إلى النفس، ولا حرج فيه إذا لم يكن مخالفا للشرع ولم يترتب عليه ضرر، وليس أدل على ذلك مما كان عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان يمازح أصحابه ويداعب أهله، ويعتني بالصغار، ويجعل لهم جزءاً من اهتمامه ومداعباته، ولقد ضرب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى في رفقه بالأطفال وشفقته وعطفه عليهم، فقد كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يعتبر الغلظة والجفاء في معاملتهم نوعا من قسوة القلب ونزع الرحمة منه، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: تقبِّلون الصبيان فما نقبِّلهم، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ:" أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟"(١).

ولعل اهتمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمداعبة الأطفال وممازحتهم كان الهدف منه تنمية ثقة الطفل بنفسه؛ حتى ينشأ قويا ثابت الشخصية، مرحا عطوفاً على غيره، وعضوًا فاعلًا في مجتمعه.

وفيما يلي تحليل بلاغي لنماذج من الحديث النبوي الشريف التي خاطب فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأطفال في مقام ملاطفتهم ومداعبتهم تكشف عن بعض الجوانب البلاغية في خطابه لهم وتُظهر رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأطفال، وتواضعه ولين جانبه معهم وإدخال السرور عليهم.

❁ ومن الأحاديث الواردة في مقام ملاطفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأطفال ومداعبتهم، ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقا، وكان

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٩١/٤.

لي أخ يقال له أبو عمير ـ قال أحسبه فطيما . وكان إذا جاء قال: " يا أبا عمير ما فعل النُّغَير؟" نغر كان يلعبُ به[١].

ففي هذا الحديث يخاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طفلًا صغيرا هو أبو عمير[٢]، وقد كان له نغير[٣] يلعب به فمات، فخاطبه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: (يا أبا عمير) مستخدما حرف النداء الموضوع للبعيد؛ ليخرجه من حزنه على طائره الصغير، ولينبهه إلى ملاطفته إياه، ومداعبته له، وخاطبه بالكنية تفاؤلًا " فقد كانوا يكنون الصبي تفاؤلًا بأنه سيعيش حتى يولد له، وللأمن من التلقيب؛ لأن الغالب أن من يذكر شخصا فيعظمه، أن لا يذكره باسمه الخاص به فإذا كانت له كنية أمن من تلقيبه؛ ولهذا قال قائلهم: بادروا أبناءكم بالكنى قبل أن تغلب عليها الألقاب"[٤] ، ولا شك أن هذه التكنية تدخل السرور على قلب الصبي الصغير ـ خاصة وأنها تكنية من سيد الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ لأنها تشعره بأنه أصبح في مصاف الرجال، ثم يبادره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالاستفهام في قوله: (ما فعل النُّغَير؟)، وهو استفهام قصِد به تسلية الطفل، وملاطفته، وإخراجه من حالة حزنه، ومن بلاغته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الجملة الاستفهامية، أنه خاطب طفلا صغيرًا بهذه العبارة الفصيحة الواضحة وكأنما يخاطب رجلًا كبيرا، وهذا يعلمنا درسًا في كيفية التعامل مع الأطفال؛ فالمربي الناجح هو الذي يرقى بالطفل إلى المستوى الأعلى عقلياً ولغوياً ولا ينزل به إلى مستوى العبارات المتدنية الهزيلة، فإذا كان من الحكمة توجيه الخطاب للطفل في هذه المرحلة، فإن من الحكمة أيضاً العناية بنوعية الخطاب الموجه إليه، وحسن اختيار العبارات. ومن بلاغته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضًا في هذه الجملة: الإيجاز، فهي ثلاث كلمات سهلة في نطقها، تناسب قدرة الطفل على الاستيعاب والفهم.

---

(١) الجامع الصحيح . كتاب الأدب . باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ١٢٨/٤.

(٢) أبو عمير . بضم العين، تصغير عمر. هو أبو عمير ابن أبي طلحة، وهو اخو أنس بن مالك لأمه، وأمهما أم سليم. ينظر:أسد الغابة في معرفة الصحابة . لابن الأثير ٢٢٦/٦، ٢٢٧.

(٣)النغير: تصغير النُّغَر وهو البلبل وفراخ العصافير . ينظر: القاموس المحيط للفيروزابادي فصل النون باب الراء١٤٤/٢.

(٤) فتح الباري(شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني . كتاب الأدب . باب الكنية للطفل وقبل أن يولد للرجل ٧١٤/١٠.

وفي نسبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفعل للطائر (ما فعل النُّغَير؟)، إعمال لعقل الطفل وتنشيط له، فمن خلال هذا السؤال يستطيع الصبي أن يوجه لنفسه عدة تساؤلات، كيف مات الطائر؟ أين ذهب ؟ لماذا فقد القدرة على الحركة؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تنمي عقله و تثير تفكيره.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا عمير ما فعل النُّغَير؟)، سجع متوازٍ، وهو من الأساليب البلاغية المؤثرة في المخاطب خاصة إذا كان طفلا صغيرا؛ " لما يحدثه من النغمة المؤثرة، والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن، وتهش لها النفس، فتقبل على السماع من غير أن يداخلها ملل، أو يخالطها فتور، فيتمكن المعنى في الأذهان، ويعز لدى العقول"[١] .

ونلحظ في هذا الحديث الشريف، أن سبب حزن الطفل هو فقده لطائره الصغير. كما يقول شراح الحديث .؛ لذلك كان لملاطفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومداعبته للطفل أثرها في نفسه، وهو موقف يحمل في طياته الكثير والكثير لمن أراد التأسي برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باتخاذ هديه منهج حياة، لا سيما في الجوانب التربوية.

❁ ومن الأحاديث الواردة في هذا المقام: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أحسن الناس خُلُقًا. فأرسلني يوما لحاجةٍ. فقلت: واللهِ لا أذهبُ. وفي نفسي أن أذهبَ لِمَا أَمرني به نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرجت حتى أمرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق. فإذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قبض بقفاي من ورائي. قال: فنظرت إليه وهو يضحكُ فقال:" يا أُنيسُ أَذهبتَ حيث أمرتُكَ؟". قال: قلت: أنا أذهب يا رسول الله.[٢]

ففي هذا الحديث يخاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طفلًا صغيرا هو أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أرسله لحاجة له، فلما تأخر خرج يبحث عنه، وحين وجده، قبض على قفاه،

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية . تأليف الدكتور: أحمد إبراهيم موسى ص:٤٩٧ . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

(٢) صحيح مسلم . كتاب الفضائل . باب: كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أحسن الناس خلقًا . ص: ١٢٦٤ ط: المغني.

وخاطبه بقوله: (يا أُنيسُ أَذهبتَ حيث أمرتُكَ؟)، وهو خطاب يتميز بالرفق، والسماحة واللطف والمداعبة، خاليًا من العنف في موقف يقتضيه؛ فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاطب الطفل وهو يضحك ـ كما أخبر بذلك أنس ـ رضي الله عنه ـ (فنظرت إليه وهو يضحكُ) وضحكه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دليل على أنه لم يغضب على الطفل؛ لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدرك أن الأطفال بحاجة إلى اللعب واللهو.

وقد بدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطابه للطفل بالنداء (يا أُنيسُ) مستخدما حرف النداء الموضوع للبعيد؛ تنزيلًا للطفل منزلة البعيد؛ لانشغاله بلعبه مع الصبيان، وناداه باسمه مصغَّرًا (أُنيس)؛ تدليلا له وعطفا عليه ومراعاة لطفولته البريئة، وقد جمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع هذا النداء ابتسامته المشرقة؛ ليخفف عن الطفل المخاطب هول المفاجأة التي عبر عنها أنس ـ رضي الله عنه ـ بقوله:(فإذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قبض بقفاي من ورائي)، وبعد النداء وجه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للطفل سؤالًا: (أَذهبتَ حيث أمرتُكَ؟)، وهو استفهام يحمل في طياته عتابا وتوبيخًا لطيفا؛ فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أن الطفل لم يذهب؛ لوجوده مع الصبيان، ومع ذلك سأله(أَذهبتَ حيث أمرتُكَ؟)، وهذا السؤال أطلق عليه البلاغيون: تجاهل العارف[1]، ونكتته البلاغية هنا هي التوبيخ.

إن معاملة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا الطفل ـ وقد تأخر عن أداء ما كُلف به ـ بالعطف والحنان، دليل على كريم أخلاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي عبر عنها أنس ـ رضي الله عنه ـ بقوله: (كان رسولُ الله ـ صلى

(١) تجاهل العارف هو: سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه : ليخرج كلامه مخرج المدح، أو الذم أو ليدل على شدة التدله في الحب، أو لقصد التعجب أو التقرير، وهو قسمين: قسم يكون الاستفهام فيه عن شيئين، أحدهما واقع والآخر غير واقع، وقد ينطق بأحد الشيئين ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه،قال السكاكي: " لا أحب تسميته بالتجاهل، وأطلق عليه:سوق المعلوم مساق غيره. ينظر: مفتاح العلوم . أبي هلال الحسن بن سهل العسكري ص:٤٢٧ تحقيق:على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة أولى ١٣٧١هـ ١٩٥٢م. . دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه، وينظر:تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ابن أبي الإصبع المصري ص: ١٣٥ . تقديم الدكتور حفني محمد شرف . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الله عليه وسلم ـ من أحسن الناس خُلُقًا)، فقد أشعر الطفل المذعور بالأمان، وساعده على تخطي الخوف؛ حين سأله، وأعطاه الفرصة للإجابة، وهذا يعلمنا أن المربي حين يكون لينا في خطابه مع الطفل غير جارح في خطابه، فإنه يخلق منه شخصية متزنة معتدلة، وهمة عالية تسعى إلى النجاح والتميز، وهذا لا يعني ترك معاتبة الطفل في كل الأمور، وإنما يعني ترك معاتبته في الأمور التي تتعلق بحظوظه من الدنيا، أما الأمور المتعلقة بالشرع فلا تسامح فيها؛ ولهذا رأينا الخطاب النبوي يتنوع بتنوع الموضوعات التي يخاطب من أجلها الطفل، فإذا كان الخطاب يتعلق بأمر من أمور الدين فلا مجال حينئذ إلا التوجيه المناسب لما قام به الطفل، كما خاطب النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمر بن أبي سلمة حين كانت يده تطيش في الصحفة، أو كما زجر الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ حين أكل من تمر الصدقة، فلكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقال كما يقول البلاغيون.

❁ ومن الأحاديث الواردة في مقام الملاطفة والمداعبة: ما روي عن الصحابية الجليلة أم خالد بنت خالد ـ رضي الله عنها ـ قالت: أُتي النبيُّ بثياب فيها خميصةٌ سوداءَ صغيرةٌ فقال:" من ترون أن نكسوَ هذه؟ فسكت القوم. قال: ائتوني بأُم خالد، فأُتيَ بها تُحملُ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: أبلي وأخلقي. وكان فيها علمٌ أخضر أو أصفرُ، فقال: يا أم خالد هذا سناه"[(١)].

ففي هذا الحديث، تذكر الصحابية الجليلة أم خالد بنت خالد[(٢)] أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُتي بثياب فيها خميصة سوداء[(٣)]، فسأل أصحابه من ترون أن نكسوَ هذه؟ فسكت القوم، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ائتوني

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح ـ كتاب اللباس ـ باب الخميصة السوداء٤/٦٠.
(٢) هي أم خالد بنت خالد بن أبي أُحيحة سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الأُموية المكية الحبشية المولد، اسمها أَمة، روت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثين، تزوجها الزبير بن العوام؛ فولدت له عمرًا وخالد، قيل: إنها آخر الصحابيات وفاة، بقيت إلى أيام سهل بن سعد. ينظر: سير أعلام النبلاء ـ الإمام شمس الدين الذهبي٣/٤٧١،٤٧٠.
(٣) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان، فإن لم يكن معلمًا فليس بخميصة. ينظر: لسان العرب ـ ابن منظور ـ باب الخاء ـ ص:١٢٦٦.

بأُم خالد) تقول ـ رضي الله عنها: (فأُتيَ بها تُحملُ، فأَخذَ الخميصةَ بيدهِ فأَلبسهَا) وهي تقصد نفسها، فهذا التعبير من باب الالتفات حيث إنها التفتت من المتكلم إلى الغائب، لقصد حكاية حالها وهي صغيرة ، أو أنه من باب التجريد، حيث جردت من نفسها شخصا آخر تتحدث عنه؛ لتنشط الأذهان، وتتنبه العقول؛ حتى يقع كلامها موقع القبول في نفس كل سامع، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين يخص هذه الطفلة الصغيرة بالخميصة ويلبسها إياها بيده الشريفة، فهو يراعي الحالة النفسية لهذه الطفلة فيكرمها، ويدخل السرور على قلبها؛ فقد عانت وحشة الغربة في الحبشة مع والديها ومن معهم من المؤمنين المهاجرين، كما عانت هول السفر ومشقته في عودتها من أرض الحبشة.

ثم يخاطبها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله:(أبلي وأخلقي)، وهو أمرٌ بالإبلاء والإخلاق، وليس المقصود بالأمر هنا حقيقته، وإنما يراد به الدعاء لها بالبقاء حتى يبلى الثوب ويخلق، قال ابن حجر:" والعرب تطلق ذلك، وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب"[(١)]، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو لها بأن تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق، والإبلاء والإخلاق بمعنى: "إخلاق الثوب وتقطيعه"[(٢)]، "وجاز العطف بينهما؛ لتغاير اللفظين"[(٣)] وهذا يعني أن كلمة (أخلقي) جاءت تأكيدًا لكلمة (أبلي)، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو لها بأسلوب مؤكد بطول البقاء، وفي رواية أخرى للحديث:(أبلي وأخلفي) بالفاء، قال ابن حجر: " وهي أَوْجَهُ ؛ لأنها تفيد معنى زائدًا، وهو أنها إذا أبلته أخلفت غيره"[(٤)].

وقد أورد البخاري للحديث رواية أخرى، جاء فيه: (أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي) [(٥)]، وهذا إطناب بالتكرار، وفائدته تأكيد الدعاء للطفلة بالإبلاء والإخلاق أو الإخلاف، والذي يحصل بسبب طول العمر حتى تخلِق

(١) فتح الباري ـ شرح صحيح البخاري ـ كتاب اللباس ـ باب الخميصة السوداء ٣٤٥/١٠.
(٢) لسان العرب أبن منظور ـ باب الخاء ـ ص: ١٢٤٦.
(٣) فتح الباري ٣٤٥/١٠.
(٤) المرجع السابق نفس الصحيفة.
(٥) الجامع الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب : من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبَّلها أو مازحها ٩٠/٤.

الثياب وتُخلفَ بغيرها، مع ما فيه من التلطف بهذه الطفلة التي عانت من أهوال الغربة ما لم يعانه الأطفال في عمرها.

ثم خاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطفلة الصغيرة بقوله: (يا أم خالد هذا سناه)، واستخدم في ندائه لها أداة النداء الموضوعة للبعيد ـ مع أنها قريبة منه بل هي بين يديه بدليل أنه ألبسها الخميصة بيده الشريفة ـ؛ ليلفت انتباهها إلى خطابه، وأنها المقصودة به لا غيرها، تلطفا معها ومداعبة لها وإدخالًا للسرور على قلبها؛ فالحديث مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمنية غالية وسعادة لا تدانيها سعادة.

ويأتي بعد النداء قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(هذا سناه) والإشارة هنا للثوب، و(سناه) كلمة حبشية، قال ابن حجر: "والسنا بلسان الحبشية: الحسن" [(١)]، وقد خاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الكلمة طفلة ولدت في أرض الحبشة وعاشت فيها طفولتها، ولا شك في أنها تعلمت بعض المفردات من لغتهم، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يداعبها بهذه الكلمة الحبشية، وينعش ذاكرتها بشيء محبب للنفوس، وهو الحسن والجمال، قال بدر الدين العيني ـ رحمه الله ـ " وقد كان غرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من التكلم بهذه الكلمة الحبشية: استمالة قلبها؛ لأنها كانت ولدت بأرض الحبشة"[(٢)].

وفي رواية أخرى للحديث، عن أم خالد ـ رضي الله عنها ـ قالت:" قدمت من أرض الحبشة وأنا جويرية، فكساني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خميصة لها أعلام، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمسح الأعلام بيده ويقول"سناه سناه"[(٣)]. وفي هذه الرواية تكررت كلمة (سناه) وتكرارها إطناب غرضه التأكيد على معنى الحسن، والجمال، لمداعبة الطفلة وملاطفتها،

(١) فتح الباري ٣٤٦/١٠.
(٢) عمدة القاري . شرح صحيح البخاري . الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني . كتاب اللباس . باب الخميصة السوداء ٧/٢٢ . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . طبعة أولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
(٣) الجامع الصحيح . البخاري . كتاب مناقب الأنصار. باب هجرة الحبشة ٦١/٣.

وإدخال السرور على قلبها بعد معاناتها مشقة السفر مع أهلها.

❁ ومن الأحاديث الواردة في هذا المقام: ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قدِمَتْ على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حليةٌ من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب فيه فصٌ حبشي، قالت: فأخذه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعود معرضا عنه، أو ببعض أصابعه، ثم دعا أمامة ابنة أبي العاص ـ ابنة ابنته زينب ـ فقال:" تحلي بهذا يا بنية"[١].

وفي هذا الحديث تخبر عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النجاشي أرسل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هدية من الحلي[٢] فيها خاتم من ذهب، فأعرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الهدية، لكونها ذهبًا ـ والذهب محرم على ذكور أمته ـ ثم دعا طفلة صغيرة هي حفيدته أُمامة[٣] وخاطبها بقوله: (تحلي بهذا يا بنية).

وقد بدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطابه لها بفعل الأمر(تحلي)، أي: تجملي بهذا أو تزيني به، وهذا الخطاب النبوي يوافق الفطرة التي فطر الله عليها البنات؛ وهي التنشئة في الزينة، وعدم القدرة على الإبانة في الجدال كما قال الله تعالى:﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٤]، فالخطاب النبوي لهذه الطفلة الصغيرة يدخل عليها السرور، ويلبي حاجتها النفسية في حب التملك للحلية التي تتزين بها البنات، وقد عدل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كلمة (خذي) ـ مع أنها تؤدي نفس المعنى ـ؛ لما تحمله هذه الكلمة من الغلظة والجفاء والاستعلاء، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) سنن أبي داود ـ كتاب الخاتم ـ باب ما جاء في الذهب للنساء٤/٢٨٠.

(٢) الحَلْيُ هو: اسم لكل ما تتزين به المرأة من مصوغ المعدنيات أو الحجارة، والجمع:حُلِيٌّ، كما يقال: ثدي وثُدِيٌّ، وظبيٌ وظُبِيٌّ. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ـ كتاب الحاء٢/٩٥. و: لسان العرب لابن منظور. باب الحاء ص:٩٨٤.

(٣) هي أمامة بنت أبي العاص التي كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحملها في صلاته، بنت بنته زينب ـ رضي الله عنها ـ ، تزوج بها علي بن أبي طالب في خلافة عمر، وبقيت عنده مدة، وجاءته الأولاد منها، وعاشت بعده حتى تزوج بها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، فتوفيت عنده بعد أن ولدت له يحيى بن المغيرة، ماتت في دولة معاوية بن أبي سفيان. ينظر: سير أعلام النبلاء ١/٣٣٥.

(٤) سورة الزخرف الآية:١٨.

منزه عن ذلك في كل شيء خاصة في خطابه حتى ولو كان الخطاب لطفل صغير؛ لذلك قال:(تحلي)؛ لما فيها من معنى الجمال الذي كان يحبه في كل شيء.

وجاء خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذه الطفلة الصغيرة بالنداء بالحرف الموضوع لنداء البعيد، مع أنها قريبة منه تجلس بين يديه؛ لتعي وتدرك مدى حبه لها، واهتمامه بأمر زينتها وجمالها، وتصغير كلمة (بنية) يدل على ملاطفته ومداعبته لها، وذلك مما يدخل السرور على قلبها.

وإعطاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الخاتم ـ وهو لا شك هدية غالية الثمن؛ لأنها من ملك من ملوك الأرض في ذلك الزمان ـ له قيمتة التربوية؛ لأنه يغرس في نفس الطفلة قيم البذل والعطاء، ويربي فيها الأخلاق، والقيم الإسلامية النبيلة.

ونلحظ في هذا الحديث أن نداء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للطفلة جاء متأخرًا عن حديثه معها(خذي هذا يا بنية) بينما كان النداء ـ في أحاديثه التي خاطب فيها الأطفال في مقام التعليم والإرشاد ـ في مقدمة حديثه معهم، ولعل السر في ذلك هو أن الحاجة إلى التنبيه واستحضار الذهن في مقام الملاطفة والمداعبة، ليست ضرورة ملحة؛ لأن البداية بأمر محبب إلى النفس هنا(تحلي بهذا) ـ فيه تعجيل بمسرة الطفلة، وهو يقوم مقام التنبيه واستحضار الأذهان هناك، والبلغاء دائما يراعون الحالة النفسية للمخاطب في تقديم بعض الألفاظ على غيرها في المقامات المختلفة للخطاب، ومن أهمها تعجيل المسرة.

❁ ومن الأحاديث الواردة في مقام مداعبة الأطفال وملاطفتهم، ما روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "يا ذا الأذنين"[(١)].

ففي هذا الحديث يخبر الصحابي الجليل عن مزاح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معه ومداعبته له فيقول: قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(١) رواه الترمذي في السنن . كتاب البر والصلة . باب ما جاء في المزاح٤/٣٥٨، وأبو داود . في السنن . كتاب الأدب . باب ما جاء في المزاح٥/١٧١.

(يا ذا الأذنين) وقد بدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطابه لأنس ـ رضي الله عنه ـ بالنداء؛ ليتنبه لما بعد النداء من حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معه.

وهذه الجملة كناية عن صفة، وهي حسن الاستماع؛ لأن شأن من له أذنان من العقلاء أن يكون حسن الاستماع، والفهم والاستيعاب لما يسمعه، وعلى ذلك فالعبارة فيها ثناءٌ على أنس ـ رضي الله عنه ـ وبيانٌ لذكائه وفطنته وحسن استماعه.

وذكر القاري ـ رحمه الله ـ أن معنى العبارة " الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له؛ لأن السمع بحاسة الأذن، ومن خلق الله له الأذنين وغفل ولم يُحسن الوعي لم يعذر، وقيل: إن هذا القول من جملة مداعباته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولطيف أخلاقه"[(١)]

وأرى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمع في هذه الجملة الثناء على أنس ـ رضي الله عنه ـ بحسن استماعه واستيعابه لما يسمع، ومداعبته له؛ لأن كل إنسان له أذنان فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ صادق في وصفه إياه، وقد روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: "إني لا أقول إلا حقا"[(٢)].

❁ ومن هذه الأحاديث، ما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له: " يا بُنَيَّ"[(٣)].

ففي هذا الحديث يخاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طفلا صغيرا بقوله: " يا بني" وفي النداء بـ (يا) تنزيل للطفل القريب منزلة البعيد، ولعل ذلك؛ لشغف الأطفال باللهو واللعب، واستحواذه على عقولهم، ففي النداء بـ (يا) تنبيه للطفل؛ ليدرك بحواسه ومشاعره ملاطفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ له، وكلمة بني ـ مصغرة ـ فيها دلالة على التدليل المناسب لمقام الملاطفة والمداعبة، والإضافة إلى ياء المتكلم وهو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها

(١) مرقاة المفاتيح ـ كتاب الآداب ـ باب المزاح ١٠٨/٩.
(٢)رواه الترمذي في السنن ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في المزاح٣٥٧/٤.
(٣) رواه الترمذي ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في يا بني ١٣١/٥.

تكريم لهذا الصبي الصغير الذي كان يخدمه، وكأنه صلى الله عليه وسلم ـ على علو منزلته وجليل قدره ـ يقول له: إنك عندي بمنزلة ولدي. قال الأحوذي: " وفي هذا الحديث جواز قول الإنسان لغير ابنه ممن هو أصغر سنا منه، يا ابني، ويا بني، مصغرا، ويا ولدي، ومعناه تلطف وأنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة"[(١)].

❁ ومن مداعبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وملاطفته للصغار: ما روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُلاعبُ زينبَ بنت أُم سلمةَ ويقولُ:" يا زُوَيْنِبُ! يا زُوَيْنِبُ! مرارًا"[(٢)] .

ففي هذا الحديث: يخبر الصحابي الجليل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ربيبته زينب بنت أم سلمة[(٣)] ومداعبته إياها بقوله : (يا زُوَيْنِبُ)، وهذا القول فيه ملاطفة ومداعبة لها؛ حيث ناداها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحرف النداء الموضوع للبعيد، وهي قريبة منه؛ لتدرك لطفه وحنانه لها، وقد جاء هذا النداء مع تصغير اسمها(زوينب)، ومن أغراض التصغير التدليل، وهو مناسب لمقام ملاطفة الطفل ومداعبته، وفي تكرار اسمها، إطناب غرضه ترغيبها في سماع قول رسول الله لها، ومداعبته لها.

(١) تحفة الأحوذي ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في يا بني ١٢٠/٨.

(٢) حديث صحيح، صححه الألباني ، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته(الفتح الكبير) ـ محمد ناصر الألباني ـ المجلد الثاني حديث رقم(٥٠٢٥) ص:٨٩٦ ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ طبعة ثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٣) هي: زينب بنت أبي سلمة ابن عبد الأسد بن هلال المخزومية، ربيبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأخت عمر، ولدتهما أم المؤمنين بالحبشة، محدثة فقيهة من أفقه نساء زمانها بالمدينة، روت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم سبعة أحاديث وروى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة، ومحمد بن عطاء، وعراك بن مالك وغيرهم، وروى لها البخاري حديثا، مسلم حديثًا آخر، توفيت سنة ثلاث وسبعين من الهجرة. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠١/٣،٢٠٠،أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ـ عمر رضا كحالة٦٧/٢ ـ طبع: مؤسسة الرسالة.

المبحث الثالث

خصائص أسلوب الحديث النبوي الموجه إلى الأطفال

تميز حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموجه إلى الأطفال بعدة خصائص نذكر منها:

- **الإيجاز**

الإيجاز في البلاغة العربية من أدق الموضوعات مسلكًا، وأعلاها مرتبة، وأدعاها لإعمال الفكر والروية؛ ولذلك قالوا: البلاغة الإيجاز، وهو ـ كما عرفه علماء البلاغة ـ: "أداء المقصود من الكلام بأقلَّ من عبارات متعارف الأوساط"[(١)]، ويعد الإيجاز من أبرز خصائص البيان النبوي؛ حيث أوتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جوامع الكلم، فبلغ في ذلك الكمال؛ لأن الكلام الموجز هو جل كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ ولذلك وصفه الجاحظ بقوله: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف..... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشى، ورغب عن الهجين السوقي؛ فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة"[(٢)]، ولعل أجمل ما قيل عن هذه السمة ما قاله الرافعي ـ رحمه الله ـ: "ومن كمال تلك النَّفس العظيمة، وغلبة فكره ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ على لسانه، قلَّ كلامُه، وخرج قصدًا في ألفاظه، محيطًا بمعانيه، تحسب النَّفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها، فلا ترى من الكلام ألفاظًا، ولكن حركات نفسية في ألفاظ؛ ولهذا كثرت الكلمات الّتي انفرد بها دون العرب، وكثرت جوامع كلمه، وخلص أسلوبه، فلم يقصر في شيء، ولم يبلغ في شيء، واتّسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه، ولو هو استطاع بعضه لما تمَّ له في كلِّ كلامه؛ لأنَّ مجرى الأسلوب على الطّبع، والطّبعُ غالبٌ مهما تشدَّد المرءُ وارتاض، ومهما تثبَّت وبالغ في

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني ص:١٧٩.
(٢) البيان والتبيين ـ للجاحظ ١٦،١٧/٢.

التَّحفظ"[١].

ولو أردنا أن ندلل على الإيجاز في حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدنا في كتب السنة الكثير والكثير من الأحاديث التي تدلل عليه ـ بصفة عامة ـ، لكن الذي يعنينا هنا هو الإيجاز في حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأطفال، فحديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأطفال كان حديثًا موجزًا يصل إلى قلوبهم دون عناء؛ ليتسنى للطفل فهمه واستيعابه، وتنفيذ الأمر الموجه إليه، وللحديث الموجز مع الطفل شواهد متعددة يكفي أن نذكر منها ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُلاعبُ زينبَ بنت أُم سلمةَ ويقولُ:" يا زُوَيْنِبُ! يا زُوَيْنِبُ! مرارًا"[٢] وما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له: " يا بُنَيَّ"[٣]، وما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قدِمَتْ على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حليةٌ من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب فيه فصٌ حبشي، قالت: فأخذه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعود معرضا عنه، أو ببعض أصابعه، ثم دعا أمامة ابنة أبي العاص ـ ابنة ابنته زينب ـ فقال:" تحلي بهذا يا بنية"[٤] ففي هذه الأحاديث النبوية كلمات موجزة يسيرة راعى فيها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسية الطفل الصغير وقدراته العقلية في فهم الكلام واستيعابه، فالطفل الصغير ـ كما هو معروف ـ مشتت الذهن، سريع الحركة والانفعال؛ لذلك كان إيجاز الكلام هو الأنسب له.

- **البساطة والسهولة**

يعد أسلوب الحديث النبوي أنموذجًا فريدًا للبلاغة العربية قوة ووضوحًا وصدقًا، وبعدًا عن التكلف والإغراب، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يكره التقعر في الكلام، ويؤثر الوضوح والسهولة في التعبير؛ ولذلك جاءت

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . مصطفى صادق الرافعي ص:٣٠٠ دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . طبعة تاسعة١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
(٢) سبق تخريج الحديث .
(٣)سبق تخريج الحديث .
(٤)سبق تخريج الحديث .

الأحاديث النبوية كلها موصوفة بالبساطة والسهولة والجزالة، وتلك سمة تزيد الحديث النبوي جمالًا وروعةً فوق جماله وروعته، وسرُّ ذلك هو "أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حريصا على أن يخاطب كل قوم، بل كل فرد على قدر حاله، وأن تكون ألفاظه ملائمة لمعانيه وأغراضه؛ حتى يبلغ كلامه مكانة من قلوب السامعين، وأن يصل التأثير شغاف القلوب، فيُقْبَلَ ما يُرادُ قبوله، ويُتْرَك ما يراد تركه"(١) وقد كتب العقاد عن هذه السمة فقال: "فمحمد العربي القرشي الناشئ في بني سعد العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبيلة نائية في أطراف الجزيرة، لم يكن في كلامه كله غريب يجهله السامع أو يحتاج تبيانه إلى مراجعة، وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ أو يريد أن يصل إلى سامعه، ولا يريد أن يقيم بين السامع وبينه حاجزًا من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب ....وأنه كان يكره التكلف والاغترار بالبلاغة"(٢).

وإذا نظرنا إلى أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموجهة إلى الأطفال لوجدنا أنها أسهل عبارة، وأبسط تركيبًا من غيرها فعبارة الحديث الموجه للطفل عبارة سهلة بسيطة، يفهمها الطفل دون عناء، فقد ظهرت جزالة أسلوبه وسهولة عبارته ـ واضحة جلية ـ في حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الْحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الوترِ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ"، وفي ما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما. قال: قدمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة المزدلفة، أُغَيْلِمَة بنى عبد المطلب على حُمُرات، فجعل يلطح أفخاذنا ويقول:" أُبَيْنَيَّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس"، وكذلك ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "أخذَ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقةِ

(١) من بلاغة الحديث الشريف ـ د. عبد الفتاح لاشين ص: ٢٠ طبعة : شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ـ جدة طبعة أولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٢) عبقرية محمد ـ عباس محمود العقاد ص:٧٤، ٧٥ ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت.

فجعلها في فيهِ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : كِخْ، كِخْ. ارْمِ بِهَا. أما عَلِمْتَ أنَّا لا نأكل الصدقة؟" فألفاظ الأحاديث الثلاثة ـ على اختلاف الغرض من الخطاب فيها ـ بسيطة سهلة لا تكلف فيها، ومعانيها ظاهرة، يدركها كل إنسان مهما كان عمره ومهما كانت ثقافته.

- **تكرار الأساليب**

الأصل في كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه من جوامع الكلم، وأن ألفاظه تدل على معانيه ويخلو من الحشو والزيادة، لكننا إذا تتبعنا أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدنا أن التكرار أسلوب شائع فيها يستعمله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الأمور التي تهم المسلمين، وتعظم العناية بها، فيرى ضرورة توكيدها، وترسيخها في الأذهان، وهو ما أشار إليه الخطابي بقوله:" وإنما يُحتاجُ إليه، ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويُخافُ بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها" [(١)] والدليل على ذلك ما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ"أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا؛ حتى تفهم عنه...." [(٢)]، فالتكرار في الحديث النبوي ليس الهدف منه مجرد إعادة اللفظ أو الجملة ، وإنما هدفه تمكين المعنى في النفس وتقويته؛ فهو أداة تعليمية يستخدمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجذب الانتباه والتركيز لما سيقال خاصة مع الأطفال، "فالتكرار من أقوى طرق الإقناع عند علماء النفس"[(٣)] وهو لون جميل من ألوان الإطناب، وفن من الفنون البلاغية التي ازدهرت دراستها في ظل الدراسات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو عند علماء البلاغة:" عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة"[(٤)] ، ونكاته البلاغية كثيرة منها: التوكيد، وزيادة التنبيه والإيقاظ من سِنة الغفلة ليكمل تلقي الكلام بالقبول[(٥)]،

(١) بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطابي(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص:٥٢ تحقيق: محمد خلف الله، ودكتور محمد زغلول سلام . طبعة دار المعارف . طبعة رابعة

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح ٥١/١ . كتاب العلم . باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.

(٣) الحديث النبوي وعلم النفس . د. محمد عثمان نجاتي . ص:١٧٦ طبعة دار الشروق . طبعة رابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع . السيد على صدر الدين بن معصوم المدني ٣٤٥/٥ تحقيق: شاكر هادي شكر . طبعة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

(٥) السابق ٥/ ٣٤٥. ٣٤٦.

وقد قسم علماء البلاغة التكرار قسمين: تكرار باللفظ والمعنى، وتكرار بالمعنى دون اللفظ[١]، والتكرار في الحديث النبوي مع الطفل جاء على القسم الأول، وهو التكرار باللفظ والمعنى، فقد تكررت بعض الكلمات بلفظها ومعناها كما في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: "أخذَ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقةِ فجعلها في فيهِ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : كِخْ، كِخْ. ارْمِ بِهَا. أما عَلِمْتَ أنَّا لا نأكل الصدقة؟، فقد تكررت كلمة (كِخْ) بلفظها ومعناها، والغرض من هذا التكرار: هو التأكيد على إنذار الطفل الصغير وتخويفه من أكل مال الصدقة، وهو مناسب لحال الطفل؛ لأن المقام مقام إرشاد وتعليم، وتكررت جملة النداء بلفظها ومعناها في ما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُلاعبُ زينبَ بنت أُم سلمةَ ويقولُ:" يا زُوَيْنِبُ! يا زُوَيْنِبُ! مرارًا"؛ وذلك لترغيبها في سماع قوله ـ صلى الله عليه وسلم، ومداعبته لها، وقد يكون الغرض من التكرار هنا: التلذذ بذكر المكرر؛ لأن المقام مقام مداعبة لطفلة صغيرة، وهو من الأمور المحببة إلى النفوس، ومنه أيضا: حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ.."، فقد تكررت جملة الأمر (احْفَظْ اللَّهَ)؛ للتأكيد على حفظ أوامر الله واجتناب نواهيه، ولاستمالة الطفل الصغير وترغيبه في قبول النصح والإرشاد، فالتكرار في الأحاديث جاء في موضعه، وجاءت الحاجة إليه كالحاجة إلى غيره من الأساليب البلاغية، وقد أشار إلى ذلك أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) حين قال:" وكلام البلغاء إنما هو شوب الإيجاز بالإطناب، والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسط؛ ليستدل بالقصد على العالي، وليخرج السامع من شيء إلى شيء، فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته، فيصرفوه في وجوه الكلام إيجازه وإطنابه، حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع، وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير"[٢].

(١) الخصائص ـ أبي الفتح عثمان بن جني١٠٢/٣ ـ ١٠٤ تحقيق: محمد علي النجار طبعة المكتبة العلمية.
(٢) كتاب الصناعتين" الكتابة والشعر" ص:١٩٣تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ١٤١٩هـ

- **المحسنات البديعية**

من خصائص أسلوب الحديث النبوي الموجه إلى الأطفال: استعمال ألوان مخصوصة من البديع بنوعيه(اللفظي والمعنوي)، والمحسنات البديعية ـ إذا جاءت دون تكلف ـ كان لها دور واضح في إظهار المعنى قويًا مؤكدًا، ومما لا شك فيه أن التكلف ليس صفة من صفات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا قولًا، ولا فعلًا بدليل قوله تعالى:﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[(١)]، وعلى ذلك فلا ينبغي أن ننظر إلى الألوان البديعية في الحديث النبوي ـ بصفة عامة، وفي أحاديث الأطفال بصفة خاصة ـ على أن مهمتها تحسين اللفظ وفقط، بل إن المعنى هو الذي يتطلبها ويسوق إليها؛ مراعاةً لحال المتكلم؛ فالتحسين ليس غاية وإنما هو نتيجة، وقد أشار إلى ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني ـ في معرض حديثه عن وظيفة الجناس ـ فقال:" وعلى الجملة فإنك لا ترى تجنيسًا مقبولًا، ولا سجعًا حسنًا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه، وحتى لا تجده لا تبتغي به بدلًا، ولا تجد عنه حولًا" [(٢)] ، ويعد السجع من المحسنات اللفظية التي تجلت في حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأطفال، وأضفت على المعنى وضوحًا وعلى الألفاظ عذوبة وجمالًا، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير ـ قال أحسبه فطيما . وكان إذا جاء قال: " يا أبا عمير ما فعل النُّغَير؟" نغر كان يلعبُ به"[(٣)] فالسجع في قوله:" يا أبا عمير ما فعل النُّغَير" لم يكن لمجرد التحسين، وإنما كان لمراعاة حال المخاطب؛ فالمخاطب طفل صغير، والصغار يعجبهم الجرس الصوتي في الكلام، ويطربون له، ويستجيبون له استجابة نفسية يعبرون عنها بابتسامة لطيفة، ومن المحسنات اللفظية أيضا: رد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، وقد ورد ذلك في الحديث الذي رواه الحسن بن علي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ

(١) سورة ص، الآية : ٨٦.
(٢) أسرار البلاغة ص:١١.
(٣) سبق تخريج الحديث.

ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ"، فرد العجز على الصدر في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اهْدِنِي ـ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي ـ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي ـ تَوَلَّيْتَ)، وفي استخدام هذا اللون البلاغي مراعاة لحال الطفل الصغير؛ لأن الطفل يحتاج إلى ألفاظ سلسة مترابطة؛ حتى يسهل عليه حفظها واستيعابها، وتشابه الأطراف في قوله: (تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ)؛ لأن بداية الحديث دعاء لله ورجاء (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ)، وخاتمة الحديث سبب وعلة لقبول الدعاء وتحقيق الرجاء، وبذلك خُتِم الحديثُ بما يناسب أوله في المعنى.

ومن المحسنات المعنوية في حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأطفال: الطباق والمقابلة، وقد وردا في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَوْمًا، فَقَالَ:" يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" [(١)] فالطباق في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (أَنْ يَنْفَعُوكَ ـ لَمْ يَنْفَعُوكَ)، وقوله: (أَنْ يَضُرُّوكَ ـ لَمْ يَضُرُّوكَ)، وهما من طباق السلب، وكذا بين (لَكَ) في قوله: (قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ)، و(عَلَيْكَ) في قوله: (قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ) والطباق من شأنه ترسيخ الفكرة في ذهن الطفل الصغير، فهو مناسب لعقله وتفكيره؛" لأن إدراك الأضداد عملية ذهنية لا تحتاج إلى كدِّ الفكر"[(٢)].

والمقابلة في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ

(١) سبق تخريج الحديث.
(٢) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي . دكتور / بدوي طبانة ص:٢٧٨ . مطبعة الأنجلو المصرية . الطبعة الثالثة١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ) وهي مقابلة توضح المعنى وتؤكده، حيث قوبلت ثلاثة معان بثلاثة معان أخرى هي: (النفع ـ عدم النفع ـ لك) و (الضر ـ عدم الضر ـ عليك)، والمقابلة صورة بديعية تزداد بها الصورة الأسلوبية جمالًا، وتتجلى بها المعاني وتتضح.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد

فهذه دراسة بلاغية لطائفةٍ من الأحاديث النبوية الموجهة للأطفال جاءت في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، ويمكنني أن ألخص ما جاء فيها، وما أثمرت عنه من نتائج فيما يلي:

- أن الخطاب النبوي الموجه للطفل اشتمل على عنصرين هما:

- التعليم والتوجيه، وقد ظهر ذلك جليا من خلال التحليل البلاغي لعشرة أحاديث قمت بتحليلها في المبحث الأول، منها حديثان في صحيح البخاري، وحديثان في مسند الإمام أحمد، وحديث في صحيح مسلم، وحديث في سنن أبي داود، وأربعة في سنن الترمذي.
- إشباع حاجة الأطفال من الحب والمداعبة والملاطفة، وقد ظهر ذلك من خلال التحليل البلاغي لسبعة أحاديث هي جملة ما ورد في المبحث الثاني، منها ثلاثة أحاديث في صحيح البخاري، وحديثان في سنن الترمذي، وحديث في صحيح مسلم، وحديث في سنن أبي داود.

- تبين أن هناك منهجًا نبويًا تربويا متكاملًا في التعامل مع الطفل له مقاصده، وأساليبه، وتطبيقاته يجب على الآباء والمربين أن يسيروا عليه في تربية أبنائهم وتعليمهم.
- تنوعت الأساليب البلاغية في الأحاديث النبوية بتنوع المواقف، واختلاف المقامات والأغراض، فالدارس للأسلوب النبوي في الحديث مع الأطفال يجده يحوي كثيرًا من الألوان البلاغية التي يتطلبها المقام، ففي مقام التعليم شاعت أساليب النداء التي تهيىء ذهن الطفل وتشد انتباهه لما سيلقى إليه من توجيهات نبوية كريمة، كما شاع فيها أسلوب الاستفهام يصاحبه الحوار الذي يعطي للطفل حرية التعبير والتبرير لبعض المواقف التي تستدعي ذلك، كما شاع أسلوب الشرط والتأكيد، وهما من الأساليب التي تناسب مقام النصح والتعليم، هذا بالإضافة إلى بعض الألوان البديعية التي

توضح المعلومة وتثبتها في ذهن الطفل كالسجع والطباق، أما في مقام المداعبة فقد اتسمت عبارة الحديث النبوي بالإيجاز الذي يحقق للطفل سرعة الفهم، والتفاعل مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما شاع فيها أسلوب النداء، وأسلوب الأمر، ولكل من هذه الأساليب غايته وأهدافه التي لا يمكن لأي أسلوب بلاغي آخر أن يقوم بها، أو أن يؤدي ما يؤديه من معانٍ.

وتوصي الدراسة بتوجيه الآباء والمربين ـ عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ـ إلى ضرورة الالتزام بالمنهج النبوي في التربية؛ لأنه المنهج المتكامل الذي يضمن لنا حسن تربية الأبناء، وحفظهم وحمايتهم من كل زيغ وضلال، خاصة في هذا العصر الذي تفشت فيه أسباب الغواية والفساد.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

المصادر والمراجع

اتفاق المباني وافتراق المعاني ـ سليمان بن بنين الدقيقي النحوي ـ تحقيق: الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر ـ دار عمان للنشر والتوزيع ـ طبعة أولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين بن الأثير ـ تحقيق: الشيخ على محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

أسرار البلاغة ـ تحقيق: محمود محمد شاكر ـ دار المدني بجدة.

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ مصطفى صادق الرافعي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة تاسعة١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ـ عمر رضا كحالة ـ طبع: مؤسسة الرسالة.

أنوار الربيع في أنواع البديع ـ السيد على صدر الدين بن معصوم المدني ـ تحقيق: شاكر هادي شكر ـ طبعة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

الإيضاح في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مكتبة دار التراث ـ مصر.

بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان بن محمد بن إبراهيم الخطابي(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد خلف الله، ودكتور محمد زغلول سلام ـ طبعة دار المعارف ـ طبعة رابعة.

البيان والتبيين ـ أبي عثمان بحر بن عمرو الجاحظ ـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ طبعة سابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ـ ابن أبي الإصبع المصري ـ تحقيق: حفني محمد شرف ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ـ تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ـ ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

تحفة المودود بأحكام المولود للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: عثمان بن جمعة بن ضميرية ـ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ـ طبعة أولى ١٤٣١هـ .

تربية الطفل في الإسلام ـ أحمد محمود الحمد ـ دار النشر الدولي ـ الرياض طبعة ١٤٢٤هـ .

التعبير الفني في القرآن الكريم ـ د/ بكري شيخ أمين ـ طبعة دار الشروق ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة ثانية ١٩٧٦م.

الجامع الصحيح للمسند من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة.

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ـ تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ طبعة ثانية١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ـ دكتور عز الدين السيد ، ط: دار اقرأ بيروت.

الحديث النبوي وعلم النفس ـ د. محمد عثمان نجاتي ـ طبعة دار الشروق ـ طبعة رابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

الخصائص ـ أبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق: محمد علي النجار ـ طبعة المكتبة العلمية.

دراسات وتطبيقات في علم المعاني ـ يحيى محمد يحيى ـ مطبعة الأمانة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق: محمود محمد شاكر ـ مطبعة الخانجي ـ القاهرة٢٠٠٤م.

رد المُحتار على الدُّر المختار شرح تنوير الأبصار ـ ابن عابدين ـ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض ـ طبعة دار علم الكتب ـ الرياض ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعس السجستاني الأزدي ـ إعداد وتعليق: عزت عُبيد الدعاس وعادل السيد ـ دار ابن حزم ـ بيروت١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ـ تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ـ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي طبعة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

سير أعلام النبلاء ـ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغرجي ـ مؤسسة الرسالة ـ طبعة ثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ـ تحقيق: محمود الأرناؤوط ـ ط: دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ طبعة أولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

شرح ابن عقيل لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري على ألفية ابن مالك ـ نشر وتوزيع: دار التراث ـ القاهرة ـ الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

شروح التلخيص ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

الصبغ البديعي في اللغة العربية ـ تأليف الدكتور: أحمد إبراهيم موسى ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

صحيح الجامع الصغير وزياداته(الفتح الكبير) ـ محمد ناصر الألباني ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ طبعة ثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ـ طبعة دار المغني ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

الطبقات الكبير ـ محمد بن سعد بن منيع الزهري ـ تحقيق: الدكتور على محمد عمر ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

الطفل المثالي في الإسلام ـ عبد الغني الخطيب ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ سوريا ١٤٠٠هـ.

عبقرية محمد ـ عباس محمود العقاد ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت.

علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ـ دكتور بسيوني فيود ـ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة ـ طبعة ثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

علم النفس التكويني " أسسه وتطبيقه" من الولادة إلى الشيخوخة ـ د/ عبد الحميد محمد الهاشمي ـ دار المجمع العلمي بجدة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

علم نفس النمو " الطفولة والمراهقة" د. حامد عبد السلام زهران ـ طبعة دار المعارف ١٩٨٦م.

عمدة القاري ـ شرح صحيح البخاري ـ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

فتح الباري (شرح صحيح البخاري) للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني طبعة دار السلام ـ الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ـ محمد بن علي بن محمد علان ـ ضبط وتصحيح: عبد المنعم خليل إبراهيم ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

فن البلاغة ـ الدكتور عبد القادر حسين ـ طبعة: عالم الكتب ـ مصر.

القاموس المحيط للفيروزابادي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ـ بدوي طبانة ـ مطبعة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الثالثة١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

لسان العرب لابن منظور ـ طبعة دار المعارف.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت:٥٤٦هـ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

مرقاة المفاتيح للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري ـ تحقيق الشيخ جمال عيتاني ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عادل مرشد ـ جمال عبد اللطيف ـ ط: مؤسسة الرسالة طبعة أولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

المصباح المنير أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ـ ط: مكتبة لبنان ١٩٨٧م.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ـ ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون طبعة دار الفكر.

من بلاغة الحديث الشريف ـ د. عبد الفتاح لاشين ـ طبعة : شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ـ جدة طبعة أولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

منهج التربية النبوية للطفل (مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين) تأليف: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ـ طبعة دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ طبعة ثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ـ طبعة دار ابن الجوزي طبعة أولى ١٤٢١هـ .